سلسلة الإعلام

الإعلام وتجديد الخطاب الديني

دراسة نقدية



إعداد

الدكتور
محمد علي أبو العلا قنديل
مدرس علاقات عامة
كلية الآداب - قسم الإعلام
جامعة كفر الشيخ

الدكتور
إبراهيم حسن حسين
باحث متفرغ





سلسلة الأعلام

الإعلام وتجديد الخطاب الديني

دراسة نقديـة

إعـداد

د/ محمد علي أبو العلا قنديل   د إبراهيم حسن حسين

مدرس علاقات عامة   باحث متفرغ

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

٠٠١.٥ قنديل ، محمد علي أبو العلا.
ا.م سلسلة الأعلام / محمد على أبو العلا .- .- ط١.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.
١٢٠ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .
تدمك : 5 - 726 – 308 – 977 – 978
١. الأعلام .
أ. العنوان .

رقم الإيداع : ٢٤٧٧ .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

النـــاشـــر : دار الجـــديد للنشـــر والتـــوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

٢٠٢٠

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

معنى كلمة "التجديد:

أغنانا الدكتور سيف الدين عبد الفتَّاح عن الحديث حول معنى التجديد لغةً وفي الفكر الإسلاميّ، وذلك عند حديثه عن "مفهوم التجديد" في صفحة "مفاهيم ومصطلحات" بموقعنا، **وعنوان الموضوع:**

التجديد:

وأنقل منه هذه الفقرة: "التجديد في اللغة العربيَّة من أصل الفعل "تجدَّدَ" أي صار جديدًا، و"جدَّدَه" أي صيَّره جديدًا، وكذلك أجدَّه واستجدَّه، وكذلك سُمِّي كلُّ شيءٍ لم تأتِ عليه الأيَّام جديدًا، ومن خلال هذه المعاني اللغويَّة يمكن القول: إنَّ التجديد في الأصل معناه اللغويُّ **يبعث في الذهن تصوُّرًا تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متَّصلة:**

أ- أنَّ الشيء المجدَّد قد كان في أوَّل الأمر موجودًا وقائمًا وللناس به عهد.

ب- أنَّ هذا الشيء أتت عليه الأيَّام فأصابه البِلَى وصار قديمًا.

ج- أنَّ ذلك الشيء قد أُعيدَ إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلَى ويَخْلَق.

ولقد استُخدِمَتْ كلمة جديد – وليس لفظ التجديد – في القرآن الكريم بمعنى البعث والإحياء والإعادة – غالبًا للخلق – وكذلك أشارت السنَّة النبويَّة لمفهوم التجديد من خلال المعاني السابقة المتَّصلة: الخَلْق – الضعف أو الموت – الإعادة والإحياء.

ويُعتبَر حديث التجديد: عن أبي هريرة ت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ من يجدِّد لها دينها" رواه أبو داود بسندٍ صحيح، من أهمِّ الإشارات إلى مفهوم التجديد في السنَّة النبويَّة."

معنى كلمة "الخِطاب:"

الخِطَاب هو مُجمَل ما يصلنا من أفكارٍ أو تصوُّراتٍ بكلِّ أشكال التعبير اللغويّ، مسموعًا أو مكتوبًا، وبكلِّ وسائل التوصيل التقليديَّة أو المستحدثة،، سواءً كنَّا نتلقَّاها جماعةً أو فُرادَى.

وهو بذلك ليس كما يتخيَّل البعض من اقتصار معنى "الخطاب" على مجرَّد الخطابة التي نتلقَّاها في المساجد في صورة خطبةٍ، أو موعظةٍ، أو درسٍ، أو ما شابه ذلك.

معنى "الدين:"

من المعروف أنَّ المقصود بالدين هو مجموعةٌ من المفاهيم والمعايير والاتِّجاهات التي يعتنقها الفرد أو الجماعة، غير أنَّ المفهوم المتعارف المتداول هذه الأيَّام والمرتبط بتجديد الخطاب يقصر معنى الدين هنا على أنَّه "الإسلام."

بعد فهم الكلمات الثلاث: "تجديد"، و"خطاب"، و"دين"، علينا أن ننظر وِفقَها في معنى: "تجديد الخطاب الدينيّ:" تجديد الخطاب الدينيِّ انبثق من خلال مفهومَيّ: "تجديد الدين"، و"تجديد الفكر الإسلاميّ:" فتجديد الدين "هو في حقيقته تجديدٌ وإحياءٌ وإصلاحٌ لعلاقة المسلمين بالدين، والتفاعل مع أصوله والاهتداء بهديه؛ لتحقيق العمارة الحضاريَّة وتجديد حال المسلمين، ولا يعني إطلاقًا تبديلاً في الدين أو الشرع ذاته "كما يقول الدكتور سيف عبد الفتَّاح.

وقد تحدَّثت عن تجديد الدين في استشارةٍ سابقةٍ قلت فيها: "ممَّا زادني قلقًا واضطِّرابًا ما ارتبط بكلمة "التجديد" من تاريخٍ أسود، ارتبط بدعاةٍ أرادوا هدم كلِّ شيء، وطمس هويَّتنا التاريخيَّة وذاتيَّتنا الإسلاميَّة باسم "التجديد"، وكان حديثهم – في معظمه – مرتبطًا بالغرب والسعي إليه وتقليده، وفي هؤلاء قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي: "إنَّهم يريدون أن يجدِّدوا الدين واللغة والشمس والقمر!!"، وهم الذين أشار إليهم شاعر الإسلام محمد إقبال، حين قال في بعض محاوراته: "إنَّ جديدهم هو قديم أوربا"، وقال: "إنَّ الكعبة لا تُجدَّد، ولا تُجلَب لها حجارةٌ من الغرب."!

وهذا اللون من التجديد مرفوضٌ بالطبع شكلاً ومضمونًا، ولكنَّه لا يعني أبدًا إغلاق الأبواب، بل إغلاق العقول أيضًا.

يقول أستاذنا الدكتور القرضاوي: "التجديد الحقيقيُّ مشروعٌ، بل مطلوبٌ في كلِّ شيء: في الماديَّات، والمعنويَّات، في الدنيا والدِّين، حتى إنَّ الإيمان ليحتاج إلى تجديد، والدين يحتاج إلى تجديد، وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو مرفوعًا: "إنَّ الإيمان ليَخْلَق في جوف أحدكم، كما يَخْلَق الثوب الخَلِق، فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمان في قلوبكم" رواه الحاكم، وقال: رواته ثقات، ووافقه الذهبي، وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، والبيهقيُّ في المعرفة، عن أبي هريرة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ من يجدِّد لها دينها" صحَّحه العراقيُّ وغيره، وذكره في صحيح الجامع الصغير، المهمُّ هو تحديد مفهوم التجديد ومداه."

وأمَّا تجديد الفكر الإسلاميّ فيقول فيه الدكتور سيف عبد الفتَّاح":يعني العودة إلى الأصول وإحياءها في حياة الإنسان المسلم؛ بما يُمكِّن من إحياء ما انْدَرَسَ، وتقويم ما انحرف، ومواجهة الحوادث والوقائع المتجدِّدة، من خلال فهمها وإعادة قراءتها، تمثُّلاً للأمر الإلهيِّ المستمرِّ بالقراءة:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [سورة العلق:١]

وفي الواقع، يرتبط "مفهوم التجديد "بشبكة من المفاهيم النظريَّة المتعلِّقة بالتأصيل النظريِّ للمفهوم، والمفاهيم الحركيَّة المتعلِّقة بالممارسة الفعليَّة لعمليَّة التجديد.

على سبيل المثال: يتشابك مفهوم "التجديد" مع مفهومَي "الأصالة والتراث"؛ حيث يُقصَد بالأصالة تأكيد الهويَّة والوعي بالتراث دون تقليدٍ جامد، وتلك المقاصد جزءٌ من غايات التجديد.

كما يشتبك "التجديد" مع مفهوم "التغريب"، الذي يعبِّر عن عملية النقل الفكريّ من الغرب، وهو ما قد يحدث تحت دعوى التجديد. وعلى صعيد المفاهيم الحركيَّة، تُطرَح مفاهيم مثل "التقدُّم" و"التحديث " و"التطوُّر" و"التقنية" و"النهضة" لتعبِّر عن رؤيةٍ غربيَّةٍ لعمليَّة التجديد،

نابعةٍ من الخبرات التاريخيَّة الغربيَّة، ومستهدفةٍ لربط عمليَّة التجديد في كلِّ الحضارات بالحضارة الغربيَّة، باعتبارها قمَّة التقدُّم، وهدفاً للدول الساعية نحو التنمية.

كما تظهر مفاهيم مثل: "الإصلاح" و"الإحياء"، وهي نابعةٌ من الرؤية الإسلاميَّة لعمليَّة التجديد، حيث التجديد هو إحياءٌ لنموذجٍ حضاريٍّ وُجِد من قبل، ولم تحدث تجاهه عمليَّات التجاوز والخلاص، ويتَّضح ممَّا سبق مدى الارتباط بين "مفهوم التجديد" فكرًا وممارسةً، وبين الخبرة التاريخيَّة والمرجعيَّة الكبرى النهائيَّة للمجتمع."

هذا عن تجديد الدين، وتجديد الفكر الإسلاميّ، فماذا عن تجديد الخطاب الإسلاميّ ؟؟

اتَّخذ الحديث حول تجديد الخطاب الدينيّ "الإسلاميّ" ثلاثة مناحٍ:

المنحى الأوَّل:

رفض فكرة تجديد الخطاب من أساسها، بدعوى أنَّ الدين قد نزل واكتمل وتمّ، وما تجديد الخطاب إلا دعوى خبيثةً للقضاء على الإسلام.

المنحى الثاني:

التوسُّع في الحديث عن ضرورة تجديد الخطاب الدينيِّ، ليصل إلى تجديد الدين كلِّه والشمس والقمر، كما يقول أستاذنا الرافعيُّ : تعالى.

المنحى الثالث:

التوسُّط، فمَنَعَ هذا الفريق التجديد في النصوص، وأجازوا التجديد في فهمنا للنصوص، مع بقاء حقِّ الاحترام كاملاً لاجتهادات العلماء السابقين.

وأرى أنَّ كلا المنحيين الأوَّل والثاني قد تطرَّفا في الفهم: فالأوَّل مَنَعَ، بناءً على فهمه أنَّ التجديد يعني تجديد القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، وهذا فهمٌ مغلوطٌ مردود، فالتجديد المعنيُّ هو تجديد الاجتهاد لا تجديد النصّ، وبالتالي فليس هناك من يؤخَذ كلُّ كلامه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

والثاني تجاوز كلَّ حدود – سواءً بحسن نيَّةٍ أو سوء نيَّة – فدعا إلى هدم الدين كلِّه تحت مسمَّى التجديد، فمعنى تجديد النصوص، أي هدْم القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة، وإنشاء شريعةٍ جديدة، وهذا ما لا يقبله مسلم.

أمَّا التوسُّط، وهو الاتِّفاق على الأصول، والتجديد في الاجتهادات، فهو –في رأيي – أنسب المواقف، مع التأكيد – ثانيةً وثالثةً ورابعة – على أنَّ التجديد في الخطاب الديني يُقصَد به التجديد في اجتهاداتنا البشريَّة، لا في نصوص الدين، أي في اجتهادات وإفهام رجال العلم والفِقْه والفكر، لا في نصوص القرآن والسنَّة، وهذا هو التجديد المقبول.

والتجديد قد يعني تجديدًا في المضمون، وفي الشكل، أي في مضمون الخطاب وفي شكل عرضه، لا في الشكل فقط.

كما أنَّ التجديد مطلوبٌ؛ لأنَّنا مطالبون أكثر من أيِّ وقتٍ مضى بأن نسعى بوعيٍ لأن نعمِّر أرضنا ومجتمعنا الذي نصنعه نحن، ونعيشه، ونحدِّد وضعه ومستقبله، بأنشطتنا وعلاقاتنا وسلوكيَّاتنا اليوميَّة في كلِّ مجالٍ من مجالات النشاط الإنسانيّ، خاصَّةً وأنَّنا نرى واقعنا، ونفهم ما حولنا، وندرك كم أصابنا من خسائر من نتاج سلبيَّة خطابنا أو تقليديَّته.

إنَّ الخطاب قد انصرف في جزءٍ كبيرٍ منه إلى الكفاح والتعبئة، بحكم ظروف الصراع المرير بين الأمَّة وأعدائها، الناتج عن احتلال ديار المسلمين، فأدَّى ذلك إلى الانشغال بحماية الأمَّة وتوجيه اهتماماتها وطاقاتها نحو تعبئة الأمَّة للمواجهة الجهاديَّة أو العسكريَّة، وهو أمرٌ طيِّبٌ وضروريّ ولاشكّ، ولكنَّ استغراق الأمَّة في هذا الخطاب أوجد مشكلتين صَعُب على الأمَّة التعامل معهما:

المشكلة الأولى:

استغرق هذا الخطاب الجهاديّ الأمَّة، وطغى على خطابها الأساسيِّ، وهو خطاب "الهداية"، فأوجد تقصيرًا واضحًا في دعوة الآخرين.

المشكلة الثانية:

تجاوزت أفهام العديد من الحركات الإسلاميَّة مفهوم الإسلام، لتتبنَّى خطابًا تكفيريًا عدوانيًا "حربيًا" على العالم كلِّه، خطابًا واحدًا يدعو بالويل على العالَمين، دون تفريقٍ أو تمييزٍ بين مؤيِّدٍ أو محايدٍ أو محارب.

هاتان المشكلتان أفرزتا واقعًا مليئًا بالسلبيَّات، فمِنْ جهل المسلمين بدينهم، إلى تشويه صورة الإسلام في الأذهان، إلى "مسوخٍ" تحمل اسم الإسلام ولا تنتمي إليه، إلى جهل غير المسلمين بالإسلام، بل ووصوله إليهم بطريقةٍ سلبيَّةٍ مشوَّهةٍ خاطئة.

إنَّ تجديد الخطاب الدينيِّ وِفْق معيار تجديد الاجتهاد لا تجديد النصِّ، هو أمرٌ ضروريّ أثبتت الأيَّام حاجتنا إليه، وما نتائج الاجتياح الإسرائيليِّ الأخير، وأحداث ١١ سبتمبر، إلا أبرز مثالين على هذه الضرورة والحاجة، في تجديد الخطاب، وتمييزه، وتصنيف العالم من خلاله، وفق رؤى وألوانٍ متعدِّدة، لا مجرَّد لونين أو مساحتين: "أبيض وأسود، مع أو ضدّ"، ففي الوسط مساحةٌ واسعةٌ غيرهما.

وصدق الدكتور القرضاويّ حين قال: "التجديد الحقيقيّ مشروعٌ، بل مطلوبٌ في كلِّ شيء: في المادِّيَّات، والمعنويَّات، في الدنيا والدِّين، حتى إنَّ الإيمان ليحتاج إلى تجديد، والدين يحتاج إلى تجديد."

وطالما طالبت مؤسسات حكومية وباحثون وإعلاميون في مصر بتجديد الخطاب الديني، لكن لماذا لا يحظى هذا المفهوم باتفاق، ولاسيما في قضايا مجتمعية خلافية مرتبطة بالدين؟

ومن هذه القضايا: ولاية الرجل على المرأة والمساواة بين المرأة والرجل في الميراث وزواج القاصرات فضلا عن بروز دعوات للتخلي عن أحاديث النبي محمد والاكتفاء بالقرآن عند استنباط الأحكام الشرعية وغيرها.

وفي مطلع نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، خلال مؤتمر الشباب الذي انعقد بشرم الشيخ، تحدث الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، عن ضرورة تجديد الخطاب الديني، قائلا: "تصحيح الخطاب الديني أحد أهم المطالب، التي نرى أننا بحاجة إليها، في مصر والعالم الإسلامي على الإطلاق."

كما دعا علماء الدين المسلمين إلى البحث في فكرة عدم الاعتداد بطلاق الزوج لزوجته شفهيا، وذلك كوسيلة لعلاج مشكلة تزايد حالات الطلاق في مصر، لكن الأزهر رفض الفكرة وأكد على أن الطلاق الشفهي يعتد به

السنة النبوية:

في ذكرى مولد النبي محمد في العشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، ألقى شيخ الأزهر كلمة في الاحتفال الرسمي بهذه المناسبة، هاجم فيها من دعوا للتخلي عن السنة النبوية والاكتفاء بما جاء في القرآن من نصوص وأحكام.

وأكد الطيب أن المسلمين أجمعوا على "ضرورة بقاء السنة إلى جوار القرآن جنبا إلى جنب، وإلا ضاع ثلاثة أرباع الدين."

وفي كلمة للرئيس السيسي في المناسبة ذاتها علق قائلا: "الإشكالية الموجودة في عالمنا الإسلامي حاليا ليس في إتباعنا لسنة النبي محمد من عدمه، لكن المشكلة الحقيقية هي القراءة الخاطئة لأصول ديننا."

وتساءل السيسي عن من أساء أكثر للدين الإسلامي؟ أهم من دعوا إلى التخلي عن سنة النبي محمد، والاكتفاء بما جاء في نصوص القرآن فقط، "أم الإساءة الناتجة عن الفهم الخاطئ والتطرف الشديد، التي أسات لسمعة المسلمين في العالم"؟

وعلق سعد الدين الهلالي، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، في وقت لاحق على مسألة استبعاد السنة النبوية، قائلا إن: "الأحاديث المروية يتعارض بعضها مع بعض."

وأضاف: "حينما يكون كل حديث يقابله حديث، وكل تفسير يقابله تفسير آخر، فعلينا أن نختار ما يناسبنا في عصرنا، ونعيش مستقبلنا وحضارة العصر، لكي لا نكون أقل من أوروبا، واليابان والصين، الذين عرفوا كيف يديرون بلادهم بأريحية، دون الاتجار بالدين."

"مفهوم فضفاض":

وعن تجديد الخطاب الديني، يقول الدكتور عبد التواب سيد، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، لبي بي سي، إن هذا المصطلح يعني "مخاطبة الجمهور بلغة العصر، وتطبيق الأحكام الشرعية بما اصطلح عليه الناس الآن."

ويضيف: "التجديد هو تجديد في اللغة والأسلوب، وتجديد في الفتوى، لأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، وبما يناسب العصر."

وتابع: "الأحكام لا تتغير، وإنما الفتوى أو طريقة تطبيق الأحكام هو ما يتغير."

بينما يرى الدكتور أحمد كريمة، أستاذ الفقة المقارن بجامعة الأزهر، أن المصطلح الصحيح هو "تجديد الخطاب الإسلامي، ومعناه تجديد فهم العلماء للقرآن والسنة الصحيحة."

وقال كريمة لبي بي سي: "التجديد يتناول فهم المستحدثات، والمستجدات والنوازل في قضايا معاصرة، سواء كانت فكرية أو عملية أو فقهيه، لكنه لا يتناول أبدا القطعيات والمسلمات الشرعية."

لكن هناك مفهوما "أكثر تحررا" لتجديد الخطاب الديني، يتبناه الدكتور سعد الدين الهلالي، الذي يقول إن: "الفقهاء أو القائمين على الخطاب الديني يظنون أن الفقه دين، والحقيقة أن الفقه رأي بشري ينسب لصاحبه، وهو مقدم كخدمة منه، وليس للإلزام بالضرورة."

ويشير الهلالي إلى تغير كبير، طرأ على آراء الفقهاء في الحكم الشرعي على بعض المسائل، مثل خروج المرأة للعمل، وتوليها الوظائف العامة بما فيها رئاسة الدولة، وقبول شهادتها معادلة لشهادة الرجل، وغير ذلك.

وكتب الهلالي في مقال بصحيفة الأهرام: "يبدو أن دعوات الرئيس السيسي لإصلاح الخطاب الديني لم تصل إلى قاعدته"، وجرى الاكتفاء بإقصاء أصحاب الخطاب "المسيئ للوحدة الوطنية" عن المشهد الإعلامي"حتى لا تظهر أفكارهم الرجعية."

وأضاف: "ولا يجب أن يحتكر إصلاح الخطاب الديني، طائفة ولا جماعة ولا مؤسسة."

بينما يرى الدكتور أحمد كريمة أن "قضية تجديد الخطاب الديني لا يجب أن تطرح على الجمهور عبر منابر الإعلام، وإنما مكانها قاعات البحث، بين الفقهاء والعلماء المتخصصين

ويقول الإمام أحمد الطيب، شيخ الأزهر، في لقاء تلفزيوني عن تجديد الخطاب الديني: "كلنا مقصرون وخائفون من التجديد، هناك من هو خائف من أتباعه، وآخر يخاف من الجمهور، وآخر يخشى من المسؤولية أمام الله يوم القيامة."

وأضاف: "هناك مثبطات كثيرة. لكن يجب أن نضرب عرض الحائط بكل ذلك، وننزل إلى أرض الواقع ونرى واقع الناس، لأن الشريعة جاءت لإسعاد الناس."

وتابع: "لا بد أن نقدم الشريعة التي تسعد الناس، في ضوء ضوابط ما جاء به النص الصريح والنص القاطع وضوابط المقاصد العليا للشريعة، والضوابط الأخلاقية التي جاءت بها الشريعة."

وفي النهاية، تبقى مسألة تحديد النص الصريح والقاطع أو ما يسميه الفقهاء ما هو "قطعي الثبوت قطعي الدلالة"، والنصوص الأخرى القابلة للتأويل، نقطة الخلاف.

الإعلام والخطاب الديني

مع تتابع الأحداث وتوالى الكبوات التي تحيط بنا وتهز مجتمعنا، تتعالى الأصوات وترتفع ما بين مطالب بتجديد الخطاب الديني، أو متحامل عليه وعلى المؤسسات الدينية -الأزهر والأوقاف- وكأنها السبب فى حدوث تلك النكبات من حوادث إرهابية أو حوادث طرق أو مظاهرات، أو غيرها مما يؤرق حياتنا ويهدد استقرارنا .والحق والعدل الذي ينبغي أن يكون لنا منهجاً، والصالح العام الذي ينبغي أن يكون لنا غاية وهدفاً أن الحاجة ملحة لخطاب ديني رائق يوقظ الضمائر، ويثقف العقول، ويحرك الفكر، ويحيى القيم فى النفوس، لينعكس أثرها سلوكاً واقعياً، خاصة في ظل ما تحياه أمتنا من شتات فكرى وتردٍ للحالة الدينية، وتخلف علمي بيّن سببه المفكر الجزائري الراحل (مالك بن نبى) فى عبارة قالها: «إن التخلف الذى يعيشه العالم الإسلامي اليوم ليس سببه الإسلام، ولكنه عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين»؛ إذ إن الإسلام فى جوهره وحقيقته دين يهتم بتنمية العقل واستثمار طاقاته ونشر القيم .هذا إضافة إلى تصاعد الأحداث السياسية فى المنطقة العربية والإسلامية التى تنذر بخطر يهدد أمن واستقرار تلك البلاد، خاصة بعد أحداث العراق وسوريا وظهور ما يسمى بجماعة (داعش) الإرهابية، وبعد أن أحبطت في مصر العديد من المخططات الخارجية التي كادت تحدق بالمنطقة كلها .وعند النظر فى أفكار المطالبين بتجديد الخطاب الديني -التي يعلو صوتها في وسائل الإعلام صباح مساء- نجد أنفسنا بصدد اتجاهات مختلفة تنبئ عن أن لكل اتجاه رؤية تختلف عن غيرها في مفهوم التجديد، تصل بنا إلى أن كل اتجاه يريد تجديداً للخطاب الديني يرسم صورته ويحدد مفهومه فى نفسه، حسب مكونه الثقافي وخلفيته التربوية، وقد ناقش هذه المسألة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب فى حديثه عن التراث والتجديد، وبيّن أن قضية التجديد «بدأت تفرض نفسها بعد (سنة ١٩٦٧) بشكل جاد على طائفة لايستهان بها من المفكرين والباحثين وأساتذة الجامعات، تراوحت خلفياتها

المذهبية من قومية إلى ليبرالية إلى ماركسية إلى علمانية إلى أصولية مادية»، ترتب على أثرها مطالبات ودعوات إلى «نفض اليدين من التراث

جملة وتفصيلاً والالتحاق بركب الحضارة الغربية فكراً وسلوكاً، ودعوات إلى تفسير التراث وتأويله بما يتفق وأسس فلسفة ماركس ولينين، والنظر إلى الإسلام -عقيدة وشريعة وأخلاقاً -من خلال قوانين وسائل الإنتاج وعلاقات الملكية والصراع الطبقى، ودعوات تنطلق بنظرتها إلى التجديد من خصائص التراث نفسه وفعالياته وآلاته فى مواكبة التطور تأثراً وتأثيراً، اعتماداً على حركة الاجتهاد المشروع فى أصول هذا التراث .«وما زالت الدعوات إلى التجديد تتوالى وتزداد تصاعداً من كل الاتجاهات، لكن السؤال الذى لا بد أن يعلن بقوة هو: أى نوع من التجديد نقصد؟ هل نريد تجديداً للخطاب الدينى يحفظ الأصول والثوابت، ويراعى المتغيرات والمستجدات، وينفض عنها ما تراكم من غبار يحجبها عن أعين الناظرين؟ أم نريد ترويضاً للخطاب الدينى بحيث يتفق وهوى بعض الاتجاهات التى تريد تبديد بعض أو أكثر الأصول والثوابت؟ إن المؤسسات الدينية لا تألو جهداً فى تحقيق ما يتطلبه الواقع من تجديد للخطاب الدينى، وإن كان من تقصير فلأن البيئة المحيطة بها يجب أن تتهيأ لقبول ما يصدر عنها من نتاج علمى وعملى، فلا يمكن أن يحدث تجديد وسط جو من الصخب الإعلامى يعكر هذا الخطاب، ويشوش عليه ويبخس جهد المؤسسة الدينية الرائدة .الذى أخشاه من هذه الاتجاهات أو الموجات المتلاحقة التى تشكك فى الدين حيناً وتتعرض لثوابته حيناً آخر، وهو التنكر لتاريخ الأمة المصرية الذى عرفت به منذ فجر التاريخ، وهو التدين الصادق والتمسك بالقيم والثوابت؛ ولذا كانت مصر من أسرع البلاد قبولاً للإسلام وشعبها أشد الشعوب حباً للنبى، صلى الله عليه وسلم، وآل بيته الطيبين وصحابته الأخيار؛ ولذلك كان لا بد من مراعاة طبيعة هذا الشعب حتى نتمكن من التصدى لكل فكر شاذ كيفما كانت صوره وأشكاله .وثمة دور للإعلام الوطنى فى التصدى للإرهاب، وفى اعتقادى أنه لم يتضح هذا الدور بعد، علماً بأنه لا يختلف اثنان فى أن الإعلام وسيلة مزدوجة الاستخدام؛ فقد تكون وسيلة بناء وارتقاء بالأوطان، وقد

تكـون وسـيلة هـدم وتفتيـت للشـعوب وللقـيم، وكونهـا كـذلك فهـذا يـدعو لمراجعة كل ما يصدر عن هذه الوسائل ومن يتحدثون فيها، ولقد أصابنا ما أصـابنا مـن جرائهـا تشـكيكاً فـى ديننـا وتشـتيتاً لأفكارنـا، وقد اتضـح جليـاً أن الإسلام ديـن التسـامح، ونبيـه نبـى الرحمـة، وهمـا بريئـان ممـا يحـدث مـن قتـل وإرهـاب وتطـرف؛ ومـن ثـم لا مجـال لاتهـام الإسـلام أو التعـرض لتعاليمـه، حتـى وإن وردت أو فهمـت خطـأ بعـض النصـوص فـى بعـض كتـب التـراث، والإسلام له ثوابت وأصول تستقى من مصادره المعروفـة، والفكـر الإسـلامى هو اجتهادات العلمـاء، يؤخـذ منـه ويـرد عليـه، فمن نقّب عن مسألة شذ فيهـا بعض المفكرين، وتبنى كبرها وإشـاعتها فـى الإعـلام لينـادى بتجديـد الخطـاب الدينى وتنقية كتب التراث؛ فهذا لا شك خبـث طويـة وسـوء نيـة، ووجـب علـى الإعـلام أن يتقـى الله فـى ديـن الله، وأولـى بـالإعلام التركيـز علـى قـيم الإسـلام السمحة وغرس الانتماء والمشتركات الإنسانية التى تجمع ولا تفرّق، وتوحـد ولا تمزق .إن الخطـاب الـدينى لا يمكـن أن يحقـق مقاصـده، ولا أن يبلـغ هدفـه بلا إعلام يركز علـى الثوابت، ويـدعم محـاور الاتفـاق وينتقـى حـاملى الرسـالة مـن الأتقيـاء، لا المـروجين للشـاذ مـن الآراء والمتـاجرين بالـدين .لقد مـرت بلادنا بحالة من استغلال المنابر لترويج فكر أو لصـالح جماعـة، وهـذه الحالـة لا يضبطها إلا قانون، وأعتقد أن الوضع الآن أصبح أفضل بكثيـر مـن سـابقه، غيـر أننـا نحتـاج دعـم المؤسسـات الدينيـة علـى كافـة المسـتويات، خاصـة مـن وسـائل الإعلام، والوقوف صفاً واحداً خلـف الأزهـر وإمامـه، ورعايـة حقيقيـة من كل المؤسسات للدعوة والدعاة والارتقاء بهم ماديـاً وعلميـاً، وإلا فالتجديـد سيكون سراباً وخيالاً لا يمت للواقع بصلة.

يؤكد الانتشار الواسع للإعلام الـديني فـي مجتمعاتنـا العربيـة والإسـلامية الدور الكبيـر الذي يمثله الـدين فـي هذه المجتمعـات، ورغـم النجاحـات المهمـة التي حققها هذا الإعلام، إلا أننا لا نزال فـي حاجـة ماسـة إلـى إجـراء مراجعـة نقدية تفتح أمامنـا سبلًا جديدة لتطوير منتجات الإعلام الـديني، بمـا يعـزز القـيم الجوهرية للدين، ويُعمِّق روح المواطنة والتعددية الدينية والثقافية.

خلافًا للصورة السائدة للإعلام الديني في مجتمعاتنا العربية المعاصرة، والذي لا يتجاوز في كثير من الأحيان الدروس الوعظية والتربوية أو الخطب والمحاضرات حول العبادات والعقائد، فإن آفاق الإعلام الديني يمكن أن تنفتح على مجالات الشأن الإنساني بما يخدم الفرد والمجتمع.

يُفترض في الإعلام الديني أن يرتقي بالسلوك البشري، ويعظِّم القيم الإنسانية الجامعة، ويخدم الصالح العام، ويعالج الجوانب المدنية والعلمية والثقافية والفنية. الإعلام هو صناعة ثقيلة تسهم إلى جانب تأثيرها الاقتصادي في بناء القناعات وتغيير الاتجاهات، والتعبير عن ثقافة المجتمع واتجاهاته وآماله. فالإعلام يمثل تعبيرًا موضوعيًّا عن حراك الإنسان وتفاعله الإبداعي في بناء المعرفة والتعارف والوحدة والتنوع.

الاختلاف في المجالات والمواضيع المطروحة في الإعلام الديني،لا يجعل منه قطاعًا منفصلًا عن صناعة الإعلام من حيث أسباب النجاح أو الإخفاق؛ وعلى هذا الأساس، فإن أول نقد يمكن أن يُقدَّم لواقع كثير من الإعلام الديني هو السطحية والطائفية والانجذاب نحو أجندات سياسية، ومصالح تجارية تسعى إلى استغلال سذاجة المخاطَبين وعواطفهم.

من المشكلات الأساسية التي تواجه الإعلام الديني إلى جانب الخلط بين الدين والسياسة، مشكلة الخلط بين الدين والعلم، وادعاء القدرة على شفاء الأمراض وعلاج السحر والعين وإخراج الجن وتفسير الأحلام. كما أدى الخلط بين الإعلام الديني والدعوة الدينية إلى اختزال الإعلام في دوائر محدودة، جعلته مقصورًا على مخاطبة فئة محددة من الناس دون غيرها.

الانتقال من الخطاب الديني العاطفي والإعجازي، إلى خطاب إنساني واقعي يستوعب احتياجات الإنسان وهمومه المعاصرة، يمثل ضرورة مُلحَّة من شأنها أن تسهم في إعادة الثقة بالخطاب الديني، والارتقاء بمضمون الإعلام الديني.

من الضروري عند الحديث عن الإعلام الديني أن نستذكر المخرج السينمائي العربي مصطفى العقاد الذي أخرج فيلم الرسالة، والذي يُعدُّ من أعظم الأعمال السينمائية التي تعبر عن المضامين الدينية في الإسلام. والمحزن أن نهاية العقاد كانت مع ضحايا تفجيرات عمان الإرهابية عام ٢٠٠٥، والتي أعلن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين مسؤوليته عنها! وليس من باب المصادفة أن تكون المرجعية الدينية التي يتبعها هؤلاء الغلاة، تحرِّم السينما والفن والرسم والموسيقى والمسرح، وترى فيها رذيلة وانحرافًا عن الإسلام!

ما يزال جزءٌ مهمٌّ من العقل الفقهي بعيدًا عن إدراك أهمية الإبداع الفني الإعلامي، ويتجلى ذلك في الفتاوى التي حرَّمَت الستالايت في بداية انتشاره، ثم شرَعَت تحرِّم بعض الأعمال الإعلامية بدعوى عدم جواز تجسيد صور الأنبياء كما في مسلسل "يوسف". ولم تَسْلم بعض برامج الكرتون مثل "بوكيمون" من التحريم بدعوى أنه يروِّج لنظرية التطور! ولم يَسلم معظم الإعلام الديني من آفة التحيز في معالجة الموضوعات ذات الصبغة السياسية. كذلك جرى استغلال هذا الإعلام في حملات التجييش والتحريض التي تعِجُّ بها معظم وسائل الإعلام في وقتنا الراهن. كما لم يستطع كثير من الإعلام الديني الخروج عن دائرة الاستقطاب الطائفي وهيمنة رأس المال الإعلامي، اللَّذَين يُحكِمان قبضتَيْهما على فضائياتنا العربية عمومًا.

على الإعلام الديني أن يعمق اهتمامه ببناء المجتمع الإنساني المعاصر، من خلال التركيز على حقوق الإنسان، والمواطنة، والديمقراطية، وإعلاء قيمَتَي الوحدة والعدالة الاجتماعية.

ينجح الإعلام الديني في تحقيق رسالته عندما يستنطق المعاني الجوهرية لِلدِّين، وينطلق من فكر إصلاحي حضاري يستوعب التحديات الراهنة، وينتقل بالعقل الجمعي من الارتهان بالماضي إلى فقه الواقع، ومن القَطْعيّة العَقَدِيّة إلى النسبية الاجتهادية، ومن ازدراء الحياة الدنيا والتحذير منها إلى تعميق معاني الحياة والابتهاج بها.

أولا- ضرورة تجديد الخطاب الديني:

إذن لماذا يتحاشى بعض المسلمين الاعتراف بضرورة التجديد ليبقى كل شيء كما كان يعهد، فليس في الإمكان أفضل مما كان، إيثارًا للإلف وتوجسًا وارتيابًا من كل حديث وجديد أو مشتق منهما، فهو يفضل أن يبقى فكره وخطابه ولغته وطريقته وعلمه متكلسًا مترهلًا مهترئًا ألف مرة على أن تناله يد التجديد، أو تطاله بواعث التحديث وأسبابه.إن ذلكم مظهر جلي من مظاهر الضعف والخور والهزيمة النفسية كما أن الارتماء في أحضان كل جديد هزيمة نفسية.

إن لفظة "الخطاب" كلمة عربية فصيحة مستخدمة، والأصوليون كانوا يستخدمونها كثيرًا، والخطاب هو المحاورة والمحادثة بين طرفين، ونسبته للدين يقصد فيها الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته، وإنني أقصد بالخطاب الديني ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتمون إلى المؤسسات الإسلامية في بيان الإسلام والشريعة، سواء كان ذلك من خلال الخطب أو المحاضرات أو التأليف أو البرامج الإعلامية الأخرى، وقد يدخل في ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والجامعات الشرعية، بل يمكن أن يوسع مفهوم الخطاب الديني ليشمل النشاط الإسلامي والنشاط الدعوي وعمل الجماعات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية بشكل عام الفقهي منها والعلمي والدعوي والتربوي، ونوع النشاط الذي تقوم به لتقييم مدى نجاحه وفشله وقربه من المقاصد العامة للتشريع ومن بعد ذلك تقويمه وإصلاحه وتجديده.

أما كيف يتم تجديد هذا الخطاب الديني؟ صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن اللـه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) أخرجه أبو داود والحاكم وصححه، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم تجديد الدين نفسه، والخطاب الديني جزء من هذا الدين وتجديده، والذين يقومون بعمل هذا التجديد جاؤوا بلفظ (مَن) فهو عام يشمل الفرد والجماعة، وفي ظل توسع الأمة واتساع رقعتها والانفتاح العالمي وتضخم الخلل

الموجود في واقعها، فإن هذا الواقع يفرض أن هذا العمل التجديدي ليس شأن فرد واحد، بل مجموعات تتكامل فيما بينها، وتؤدي أدوارًا مختلفة وتخصصات علمية متباينة وحقول معرفية كلها تنتهي عند مصب المصدر الأصلي (الشريعة).

وهناك فرق بين الخطاب الديني والوحي المنزل، بمعنى أن الخطاب الديني يعتمد على الوحي في كثير من الحالات، لكنه يبقى في حدود العمل العقلي البشري أو العمل الاجتهادي الذي يرتبط بإمكانات الإنسان وقدرته وطاقته، فهو مثل خطاب الفقهاء والوعاظ والمصلحين الذي يمثل اجتهادًا من عندهم، ومفهوم (تجديد الخطاب الديني) **يتنازعه طرفان:**

الأول: فئة تتحدث عن تجديد الخطاب الديني وهي تصدر من منطلقات غير دينية، وأعتقد أنه لا يمكن تجديد الخطاب الديني من خارج هذا الخطاب الديني نفسه سواء بظروف محلية أو عالمية.

الثاني: بعض القوى الإسلامية الخائفة التي اشتد بها الخوف، فإذا سمعت مثل هذا اللفظ ترامى إلى أذهانها أنها مؤامرة لتحريف الدين أو لتغيير الخطاب.

إن تجديد هذا الخطاب ضرورة فطرية وبشرية؛ لأن هذا الخطاب الديني الحالي مفكك وفردي، بينما يشهد العالم تجمعات وتطورات هائلة في مجال التقنية والمعلومات والاختراعات، وأعتقد بأن أية نهضة أو تنمية في العالم الإسلامي التي ينادي بها المخلصون من دعاة الإصلاح إن لم تصدر من مفهوم ديني فهي محكوم عليها بالفشل، فلا بد من خطاب ديني واع ومعاصر ومنضبط يستطيع أن يضع هذه النهضة ويساعد عليها ويدفعها لإخراج الأمة من هذا التيه والدوران الذي تدور فيه حول نفسها.

إن هذا التجديد الحي قراءة واعية واعدة للنفس والآخر والواقع، وقراءة قادرة على إيجاد الحلول الشرعية المناسبة لمشكلات الواقع.

إن تجديد هذا الخطاب ضرورة فطرية وبشرية؛ لأن هذا الخطاب الديني الحالي مفكك وفردي، بينما يشهد العالم تجمعات وتطورات هائلة في مجال التقنية والمعلومات والاختراعات

الإعلام والخطاب الديني في عصر العولمة:

وإذا كان نجاح الخطاب الديني التجديدي مرهونا بالنظر إلى قضايا الناس على المحيط الداخلي أو المحلي داخل الدولة أو داخل الدول العربية أو الإسلامية، إلا أن عالمية الإسلام كدين والتي تمثلت في قوله تعالى لرسوله الكريم "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" تحتم علينا عولمة الخطاب الديني لكي يصل إلى العالم كله، لكي يعكس وسطية الإسلام وبعده عن التطرف والغلو، وأنه دين الرحمة وليس دين العنف والإرهاب كما يتم تصويره في الغرب، وهى الصورة التي طبعها الأمريكيون للإسلام وللمسلمين في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١، وسيحاول الفرنسيون والأوربيون أن يقوموا بترسيخها عقب الهجوم على مجلة "شارلي إبدو" الفرنسية وما تلاه من هجمات إرهابية أخرى في فرنسا وألمانيا.

وفي هذا الإطار، فإننا نرى من خلال رصدنا لواقع الخطاب الديني في عصر العولمة، أن ثمة إشكاليات تطرح نفسها بقوة، ولابد أن نجد لها حلولًا فعالة، **ومن بين هذه المشكلات:**

أولًا: لا توجد قناة فضائية دينية إسلامية تعكس قيم الإسلام الوسطى المعتدل ، وتنطق بلغات عدة للوصول إلى شعوب الأرض الذين ينتمون لأجناسٍ شتى ولغات عديدة، بل إن القنوات الدينية الإسلامية في مصر والمنطقة العربية تصطبغ بطابع المحلية الشديدة، بل وتخلط على الناس دينهم ، وكانت تلجأ في الغالب إلى تسييس الدين، وترسيخ التطرف والغلو في نفوس العرب والمصريين.

ثانيا: أننا لم ندشن مواقع وبوابات دينية إسلامية على شبكة الإنترنت تروج لخطاب إسلامي مستنير يتفق مع طبيعة المجتمعات الغربية والمسلمين الذين يقطنون فيها ويحتكون بثقافات مغايرة عما هو موجود في المجتمعات العربية والإسلامية.

ثالثًا: أن الأزهر الشريف – مع احترامنا لكل الخطوات التي خطاها لتجديد الخطاب الديني- لم يقم بدوره في الدعوة الإسلامية في العالم أجمع وفقًا لمفهوم عالمية الإسلام من خلال وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، واكتفى بدوره في التعليم الديني لبعض الطلاب الوافدين من دول مختلفة أو ببعض القوافل الدينية ذات التأثير المحدود في بعض الدول، حيث لم يصدر الأزهر مطبوعة عالمية بلغات عدة تصل للمسلمين والذين يريدون أن يقرأوا عن الإسلام في بقاع الأرض كافة وبلغات مختلفة، كما لم يطلق الأزهر قناة دينية إسلامية فضائية بلغات عدة، كما أن بوابته على شبكة الإنترنت غاية في المحلية وباللغة العربية فقط، في حين أن بعض البوابات الإسلامية الممولة خليجيًا تنطق بلغات عدة منها "بوابة الإسلام اليوم" السعودية التي تنطق باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والصينية، وبوابة "إسلام ويب" القطرية التي تنطق باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية.

رابعًا: أننا أغفلنا توظيف شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر ويوتيوب في بث خطاب إسلامي عولمي مستنير يبرز تسامح الإسلام ووسطيته واعتداله، وتركنا هذه الشبكات للإرهابيين والمتطرفين، حيث أصبحت هذه الشبكات أدوات فاعلة في أيدي التنظيمات الإرهابية كداعش والإخوان وأنصار الشريعة يستخدمونها لتجنيد المتطوعين من شتى بقاع الأرض، ويروجون من خلالها خطابًا دينيًا متشددًا مؤسسًا على أساطير "الدولة الإسلامية" و"الخلافة"، و"الجهاد" .. وغيرها.

خامسًا: أننا لم نسع لدى الدول الأوروبية منذ الثمانينيات من القرن الماضي لإقناعها بالعدول عن موقفها حينما بدأت في توفير الملاذ الآمن ومنح جنسيتها أو حق اللجوء السياسي لبعض المتشددين والمتطرفين من الدُعاة الذين لفظتهم دولهم العربية والإسلامية بحجة إيمانها بحرية الرأي والتعبير، وهو ما أدى إلى فتح منصات إعلامية ومنابر في المساجد والمراكز الإسلامية المنتشرة بالدول الأوربية لخطاب ديني متطرف يغذي مفهوم التغيير بالسلاح على أساس عقائدي، وهو ما

جعل هذه البيئة صالحة لتجنيد من يقاتلون من الأوروبيين الآن في صفوف داعش وجبهة النصرة وغيرهما من التنظيمات الإرهابية على الأرض العربية، وانتقال ذلك الإرهاب إلى أوربا ذاتها في فرنسا وألمانيا في الوقت الراهن.

سادسًا: إننا لم نستطع أن نقنع الأوربيين والأمريكيين من خلال خطاب إعلامي عقلاني بعدم مساندة الإرهاب والجماعات الإرهابية ممثلة في جماعة الإخوان، لأن هذا الإرهاب سوف يرتد إليهم لاحقًا، ولعله من الواضح الآن أن استهداف الجماعة لمدينة الإنتاج الإعلامي وصحف الوطن والمصري اليوم والوفد تمت محاكاته بالهجوم على مجلة "شارلي إبدو" في فرنسا وصحيفة أخرى في ألمانيا، كما أن استهداف الجماعة لرجال الشرطة تمت محاكاته من خلال استهداف الأمريكيين السود لرجال الشرطة الأمريكيين البيض بعد مقتل شاب أسود على يد شرطي أبيض.

ومن هنا، فإن ثمة خطوات جادة يجب أن نتخذها إن أردنا أن نوجد آليات فعالة لنشر خطاب ديني عالمي مستنير، ومن بين هذه الآليات:

أولًا: إنشاء قناة فضائية دينية إسلامية تعكس قيم الإسلام الوسطي المعتدل، وتنطق بلغات عدة للوصول إلى شعوب الأرض الذين ينتمون لأجناسٍ شتى ولغات عديدة.

ثانيا: تدشين مواقع وبوابات دينية إسلامية على شبكة الإنترنت تروج لخطاب إسلامي مستنير يتفق مع طبيعة المجتمعات الغربية والمسلمين الذين يقطنون.

ثالثًا: قيام الأزهر الشريف بدوره في الدعوة الإسلامية في العالم أجمع وفقًا لمفهوم عالمية الإسلام من خلال وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، وذلك من خلال إصدار مجلة عالمية تعبر عنه بعدة لغات ، وتدشين فضائية دينية ناطقة بلغات عدة، وتدشين موقع وبوابة دينية إسلامية تستهدف الملمين في العالم أجمع والأجانب الذين يريدون التعرف على الإسلام.

رابعًا: توظيف شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر ويوتيوب في بث خطاب إسلامي عولمي مستير يبرز تسامح الإسلام ووسطيته واعتداله.

خامسًا: قيام وزارة الخارجية المصرية بالسعي لدى الدول الأوروبية لإقناعها بالعدول عن موقفها حينما بدأت في توفير الملاذ الآمن ومنح جنسيتها أو حق اللجوء السياسي لبعض المتشددين والمتطرفين من الدُعاة الذين لفظتهم دولهم العربية والإسلامية وإحلال الدعاة الأزهريين الوسطيين مكانهم في المراكز الإسلامية بهذه الدول.

سادسًا: إقناع الأوروبيين والأمريكيين من خلال خطاب إعلامي عقلاني بعدم مساندة الإرهاب والجماعات الإرهابية ممثلة في جماعة الإخوان، لأن هذا الإرهاب سوف يرتد إليهم إن عاجلًا أو آجلًا.

سابعًا: إعداد دعاة مستنيرين مسلحين بخطاب ديني مختلف ومغاير للخطاب الديني التقليدي أو الماضوي (السلفي) يناسب مع العصر الذي نعيش فيه، وذلك من خلال خضوع هؤلاء الدعاة لانتقاء وفرز دقيق في البداية لاختيار من يصلح منهم للانضمام لدورات تأهيلية تركز على تجديد الخطاب الديني وآليات ذلك، وإكسابهم سبل التعامل مع الثقافات الأخرى.

الفصل الثاني

الخطاب الديني وإشكالية التناول الإعلامي

رؤيـة نـقـديـة

أولاً: مقدمـة :

إن الثقافة التي يمثلها الخطاب الديني السائد هي ثقافة يغلب عليها التقليد، وضيق الأفق، فهي تبدأ بتقليد النص الديني بمعنى التقيد بظاهرة ومعانيه الحرفية التي لا يجوز الخروج عليها، ومن ثم عدم الميل إلى تأويل النص، أو النظر إليه في أفق احتمالاته الدلالية التي أنكرتها الظاهرية، المنسوب إليها ابن حزم الظاهري الفقيه الأندلسي الشهير، لكن التي أكدها غير الظاهرية من الفرق والمذاهب الإسلامية التي رأت في التأويل ضرورة حتمية، وذلك لمجاوزة التعارضات المحتملة بين ملفوفات النصوص ومقاصدها أو بينها وأسباب تولدها المباشرة التي يمكن لمتغيرات الزمان والأصول تعديلها على الأقل أو محوها أو صرفها مرادها القديم فالنص الديني (قرآنا أو أحاديث) "حمَّال أوجه" لا يخلو من إمكان انقطاع علاقة النتيجة بالسبب في تفسيره، خصوصاً من منظور دوران العلة مع المعلول وجوداً وعدماً فيما يقول المناطقة والفقهاء[١].

وإذا كان الفكر هو الذي يحرك الحياة فإن التجديد في الفكر وفي الحياة متلازمان لا انفصال بينهم وبدون هذا التجديد سيبقى كل شيء على حاله دون تغيير وبذلك تتجمد الحياة وتصبح حياة لا قيمة لها وهذا أمر مضاد لطبيعة الحياة ذاتها ونظراً لأن الفكر الديني يعد جزءاً من الفكر الإنساني فإنه يمكن القول بأن تجديد الفكر الديني يعد ضرورة حياتية، والحديث عن التجديد في الفكر الديني في الإسلام يستدعي في الذهن الحديث عن العقل وعن الاجتهاد فهما عماد التجديد أما المقابل للتجديد فهو الجمود والانغلاق وإذا كان التجديد يعني التقدم إلى الأمام فإن الجمود يعني التخلف بمختلف

صوره وأشكاله، وقضية تجديد الفكر الديني ليست قضية هامشية وإنما هي قضية لها أهميتها البالغة في حياة المسلمين وذلك لما للدين من عمق مؤثر في النفوس، والأمر الذي لا جدال فيه ولا يستطيع أحد إنكاره هو أن الفكر الديني في العالم الإسلامي قد توقفت مسيرته وركن إلى السكون وفقد حيويته وضعف معه بالتالي المجتمع الإسلامي الذي لا يزال يرزخ تحت وطأة التخلف ولا يجادل في وجود هذا التخلف إلا مكابر[٢].

ويقصد بالتجديد هنا هو تجديد الفكر الديني بصفة خاصة ولابد أن نؤكد أن التجديد بصفة عامة من طبيعة الدين الإسلامي، وأنه لا تناقض بين تعاليم هذا الدين وبين التجديد فالنبي صلى الله عليه وسلم نفسه أول من تحدث عن التجديد في الدين بقوله "أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[٣].

وإذا كان القرآن الكريم يعتبر الكون متغيرا وأن ذلك في الآيات الدالة على الوجود الإلهي فإنه من الطبيعي أن يكون الإسلام مشجعا دافعاً على التجديد ودافعاً إليه حتى لا يتخلف المجتمع الإسلامي، عن ركب التطور، ولا شك أن هناك خلل فيما يتصل بقضية تجديد الخطاب الديني المعاصرفي العالم الإسلامي لا يمكن إنكاره ولا تجاهله، وأن هذا الخلل قد عبر عن نفسه بصور مختلفة وصلت لاختزال الإسلام في الوقت الراهن في كلمتين اثنتين هما: (الإرهاب) و(التخلف) وصار ذلك عنواناً يتردد بقوة في الأدبيات المعاصرة في الشرق والغرب على السواء على كافة مستويات الخطاب المعاصر، سياسياً كان هذا الخطاب أو ثقافياً أو إعلامياً، وقد ساهم هذا الخطاب بصوره المختلفة نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات في تثبيت هذا المفهوم بقوة وفاعلية غير مسبوقة حتى أوشك أن يستقر ذلك المفهوم السلبي عن الإسلام كدين يولد الإرهاب ويكرس التخلف كصفة لازمة للإسلام.

وقد خرجت الدعوة إلى ضرورة تجديد الخطاب الديني والدعوى باعتباره إشكالية حقيقية يجب مواجهتها والتصدي لها ولعلاجها شجاعة حتى تتمكن من علاج الخلل الذي أصاب الأمة، بعض الدعوات تدعو في صراحة للتخلص من العرب ففي حمس رد الفعل والغضب المنفلت بعد أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١، ضد الولايات المتحدة الأمريكية، والفزع الذي سيطر على المجتمعات الغربية نتيجة لظاهرة الإسلاموبيا كما دعمتها وزكاها الإعلام الغربي(٤).

وبات يعاد ويتلى حتى أصبح بمثابة مفهوم مظلة تتداول تحته عديد من المصطلحات أزمة الفكر الديني، الفكر الإرهابي، الجماعات الإسلامية الراديكالية، والإرهابية التطرف الديني – الغلو.. أزمة الإسلام الرسمي ومؤسساته تطور الأزهر في أثناء الانتفاضات الثورية في مصر وتونس كانت مواقف المؤسسات الدينية الرسمية أكثر حزماً، ووقف بعض قادتها إلى جانب النظام والتنمية التسلطية ثم تراجعوا وأيدوا العملية الثورية وباستثناء بيانات الأزهر والمثقفين ذائعة الصيت لم يحدث أي تأثير نوعي في الخطابات الدينية الرسمية وإنما جُل ما تم لا يتعدى سوى تنهيض الخطاب النقلي ببعض المفردات والتعبيرات الأقرب إلى شعارات لفظية على بنية ومرجعية وتضمينات من الفقه السني الأغلبي، دونما مراجعات أو سعي وممارسة منهجية وعقلية وإيمانية ترمي إلى تجديد روح الإيمان لدى الجمهور من المؤمنين والتفسير والتأويل الديني الرسمي في هذا السياق كانت الخطابات الإسلامية الراديكالية تتمدد مجددا حاملة معها فقه التوحش الداعشي الذي شكل نقلة لبعض الممارسات السلفية الجهادية سواء على المستوى الأيديولوجي والفقهي(٥).

ليس من الغريب أن تظهر في وقت لآخر دعوة إلى "التجديد" في الخطاب الديني وينطبق هذا على الإسلام كما ينطبق على غيره من الأديان، فالدين، وإن كانت له مبادئه وأفكاره الثابتة، له أيضا طقوس وشعائر تتطلب القيام ببعض الأعمال المادية، وتأدية بعض الواجبات الاجتماعية ولكن ظروف الحياة متغيرة(٦).

فالخطاب الديني كما نفهمه هو منهم للدين في ضوء معطيات العصر بما يضمن وجود الإنسان المسلم مع عصره والمشارك فيه بفاعلية وكفاءة، دون أن يشعر أنه كافرا وزنديق وبذات القدر دون أن يشعر أنه جاهل أو متخلف، يكسب الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا. فعل هناك من هو مؤهل للقيام بهذا الدور؟[٧].

ومن المعروف أن النهضة الحديثة بدأت بالتمرد على ثقافة التعليم والنقل التي استدل بها أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ثقافة الاجتهاد التي تمضي في الأفق العقلاني الرحيب ولم ينفصل عن ذلك كله استبدال التعليم المدني بالتعليم الديني وإنشاء الجامعة الحديثة في موازاة الجامعة الأزهرية القديمة، الأمر الذي أدى ولا يزال، إلى ازدواج التعليم ومواجهة صفات التقليد في الثاني "التعليم الديني بشروط الاجتهاد في الأول "التعليم المدني"[٨].

إذن يحتاج الإنسان المسلم المعاصر إلى خطاب ديني وسطي يتماشى مع متغيرات العصر الحديث بما لا يؤثر على ثوابت الدين الإسلامي بل خطاب يقوم على النقد العقلي للفروع ويفتح باب الاجتهاد العقلي والنقدي بما يحقق المعادلة الصعبة وهي القضاء على الإرهاب والتطرف الديني والتعصب ويصل إلى مرحلة قبول الآخر داخل المجتمع الواحد بما لا يدع مجال للوقيعة بين أفراد المجتمع الواحد ويحقق التكامل والتكافل المجتمعي.

فالفكر يعامل بالفكر وليس بالتطرف وإزاحة الآخر بل لابد من وجود أرض واحدة تسع للجميع ولا تنفي وتلغي الآخر[٩].

ثانياً: الدراسات السابقة :

- **دراسة: إيهاب خيري (٢٠١٨)[١٠]:**

هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تقوم به البرامج الدينية في الفضائيات المصرية في تنمية الوعي الديني لدى المراهقين.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: احتل دور تصحيح المفاهيم الدينية الخاطئة للجمهور المرتبة الأولى فيما يتعلق بالمسئولية الدينية في البرامج عينة الدراسة، وجاء في المرتبة الثانية دور طرح حلول للمشكلات المجتمعية والمرتبطة بالنواحي الدينية، كما جاء في المرتبة الثالثة دور التعبير عن وجهات النظر المختلفة حول القضايا الدينية المثارة في المجتمع، وأخيرا جاءت في المرتبة الرابعة دور إبراز نماذج دينية إيجابية. وأوضحت الدراسة أيضاً أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المبحوثين ممن يتابعون البرامج الدينية بالقنوات الفضائية المصرية ومتوسطات درجاتهم على مقياس الوعي الديني تبعا لاختلاف الجامعات (عين شمس – الأزهر – الجامعة الكندية – جامعة المستقبل).

- **دراسة: أبكر عبد البنات آدم (٢٠١٧)**[١١]:

تناولت الدراسة تجديد الخطاب الديني وهو من المصطلحات الإسلامية التي تؤرق التيارات الإسلامية منذ أزمنة طويلة وما أن بدأ الاستعمار الغربي توطيد جذوره في أنحاء الوطن العربي إلا وسعي في تغيير ثوابت الدين الإسلامي وأصوله بحجة جعل الإسلام ملائماً مع الحضارة الغربية.

وهدفت الدراسة إلى بلورة مفهوم التجديد بصبغة إسلامية من خلال تحديث الوسائل والأساليب والآليات والضوابط التي على ضوئها يبين حكم الإسلام في النوازل والعمل على تثبيت مفهوم الاجتهاد في المعاني هذا بالشرعية بالإضافة إلى ما اندثر من الحاضر الإسلامي واستخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي وأحيانا المقارن لمعرفة دور الأديان السماوية في فكرة تجديد الخطاب الديني. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من الضوابط لمنع التشكيك والدعاية والإشاعة هي: مراعاة الاختصاص في الدعوة إلى التجديد يقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) **[سورة الأنبياء:٧]** ، وكذلك الموضوعية والتجرد من الأهواء والانفعالات والاعتصام بالأصول والثوابت الإسلامية والاعتراف بمحدودية العقل وأن يكون القصد من التجديد إصلاح الفكر الديني لدى الأمة وشرح أحكام الدين بطريقة صحيحة بناء على الأسس والثوابت.

- **دراسة أحمد علي سليمان (٢٠١٦)** [١٢]:

هدفت هذه الدراسة إلى إدخال التكنولوجيا في خطبة الجمعة ولكن بشيء من الموضوعية وبشيء من التعقل، بصورة حضارية تؤكد عالمية الإسلام وأنه يصلح لكل زمان ومكان وذلك بحكم أن العالم الآن يشهد طفرات تكنولوجية متسارعة ومتلاحقة فلابد للمؤسسات الدينية أن تستفيد من هذا التطور فتجديد شكل وآلية وطريقة عرض الخطاب الديني لا يقل أهمية عن تجديد مضمون الخطاب الديني.

وأوضحت نتائج الدراسة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستخدم كافة الوسائل المتاحة بالنسبة له لإيضاح ولإيصال المعلومات للصحابة والمسلمين في هذه الفترة، وخرجت الدراسة على ضرورة إعمال العقل والاجتهاد ومسايرة العصر بأدواته وآلياته من أجل إبراز مقاصد الإسلام بصورة واضحة.

ودعت الدراسة إلى التوسع في استخدام التكنولوجيا وغيرها من مستحدثات العصر لتحقيق فهم أرقى وأوضح وأشمل للرسالة الإسلامية.

- **دراسة: أحمد خيري** ٢٠١٥[١٣]:

تمثلت مشكلة الدراسة في التعرف على الخطاب الديني المقدم عبر القنوات الفضائية المصرية وانعكاسه على فرص التقدم الحضاري للمجتمع المصري، واستخدم الباحث المدخل النقدي في الدراسات الإعلامية. وتوصلت الدراسة إلى أن الطابع الرجعي للخطاب الديني اتضح في تدني الرسائل التي يوجهها فيما يتعلق بالقضايا التقدمية مثل الحرية السياسية وحقوق المرأة والتشجيع على العمل واحترام قيمة العلم والتعايش السلمي مع الآخر.

وكشفت الدراسة عن عجز المؤسسات الدينية مثل الأوقاف والأزهر عن تقديم خطاب ديني متزن يمثلها على مستوى القنوات الفضائية بشكل مؤسسي منظم. وطالبت الدراسة كافة المؤسسات المتداخلة في صياغة الخطاب الديني وتوجيهه وتحديد أهدافه.

- **دراسة: يسري فهمي علي ٢٠١٥م** [١٤]:

تتحدد مشكلة هذه الدراسة في البحث ودراسة دور الصحف الإسلامية في إمداد الشباب الجامعي بالمعلومات الدينية والتي تسهم في تنمية الوعي الديني لديهم حيث يجب أن تكون الصحافة الإسلامية ذات دور فاعل ومهم في المجتمع.

وسعت هذه الدراسة أيضًا إلى تحديد دور الصحف الإسلامية كمصدر من المصادر التي تسهم في تشكيل وتنمية الوعي الديني لدى الشباب الجامعي بقضاياه.

وتنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية، واعتمدت الدراسة على منهج المسح الإعلامي واستخدم الباحث أسلوب المسح بالعينة وقام بمسح للمضمون ومسح للجمهور.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١- أن الموضوعات الدينية جاءت في مقدمة الموضوعات التي تناولتها صحف الدراسة بنسبة بلغت ٥٧.٣%.

٢- الموضوعات الدينية المتعلقة بالعبادات جاءت في المرتبة الأولى بنسبة ٢٤.٦%.

٣- الإلهيات جاءت في المرتبة الأولى بنسبة ٤٨.٩% بالنسبة للموضوعات.

٤- جاءت فئة الإيمان بالله وموضوعاتها في المرتبة الأولى بنسبة ٦٩.٨%.

٥- جاء الإيمان بالرسل في مقدمة الموضوعات الدينية المتعلقة بالنبوات بنسبة بلغت ٥٨.٨%.

٦- جاءت السلوكيات الإيجابية في مقدمة الموضوعات الدينية المتعلقة بالسلوكيات بنسبة ٨٦.٢%.

٧- جاءت الأسرة المسلمة في مقدمة الموضوعات المتعلقة بالأسرة والأحوال الشخصية بنسبة ٦٢.٥%.

٨- هناك إقبالًا ملحوظًا بين المبحوثين على قراءة الصحف الإسلامية مما يشير إلى أن الصحافة الإسلامية هي الأكثر استخدامًا من عينة الشباب الجامعي.

٩- دافع الشباب للتعرض إلى الصحف الدينية هو الإمداد بالمعلومات الدينية مما يدل على حاجتهم الشديدة للتوعية الدينية ولمزيد من الوعي الديني.

- **دراسة باكينام حسن غراب ٢٠١٣م** [١٥]:

تمثلت مشكلة الدراسة في أن هناك ثمة اختلافات بين التيارات السياسية والفكرية المختلفة في موقفها من هذه القضية، وتشير الدراسات إلى أن موقف التيارات الإسلامية على اختلاف توجهاتها كان أحد المواقف التي يمكن وصفها بالراديكالية من هذه القضية حيث غلب على معظم التيارات الإسلامية موقف عدائي متشدد تجاه هذه القضية.

وتسعى هذه الدراسة إلى تحليل وتأصيل ذلك الموقف لتحديد التأثيرات المتبادلة بين الخطاب الفكري والأيديولوجي لهذه التيارات وصحفها وموقفهم من قضايا الديمقراطية في إطار سياق مجتمعي أكثر شمولًا يؤكد على وجود حالة من الصراع السياسي بين القوى السياسية والفكرية المختلفة حول مستقبل نظام الحكم في مصر.

وهدفت الدراسة إلى رصد وتوصيف وتحليل الملامح العامة لسياسات تحرير صحف التيارات الإسلامية في مصر ورصد وتوصيف وتحليل الخطاب الخاص بصحافة التيارات الإسلامية من قضايا الديمقراطية وتحديد أهم وتفسير خصائص خطابات هذه التيارات.

هذه الدراسة تنتمي إلى الدراسات الوصفية واستخدمت الدراسة منهج المسح الإعلامي والمنهج المقارن استخدمت أدوات منها مسار البرهنة والقوى الفاعلة والأطر المرجعية.

- **دراسة: حنان محمد عبد المجيد ٢٠١٣م**[١٦]:

مر المجتمع المصري خلال العقدين السابقين بتحولات اجتماعية وسياسية متعاقبة ساعدت على انتشار مظاهر الفوضى المجتمعية، وقد

تشابكت مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية في خلق حالة من الانهزامية داخل المجتمع المصري في ظل غياب المشروع القومي وتشويه البنية الاجتماعية واضطراب منظومة القيم الاجتماعية.

لذلك تمثلت مشكلة هذه الدراسة في الفوضى المجتمعية وانعكاساتها على فوضى الخطاب والإفتاء الديني بين القنوات الفضائية والمواقع الإليكترونية.

هذه الدراسة تنتمي إلى الدراسات الوصفية حيث تهتم بالتحليل الكيفي لأبعاد وتأثيرات ظاهرة الفوضى في المجتمع المصري.

واستخدمت الدراسة أسلوب البحث المكتبي النظري، كما تعتمد على تحليل نتائج الدراسات السابقة حول وسائل الإعلام الحديثة، **وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:**

- في ظل التحولات العالمية والداخلية تهيأ المجتمع المصري لحالة من الفوضى المجتمعية وفي إطار هذه الفوضى ظهرت موجة جديدة دينية شارك في صنعها مجموعة من الدعاة الجدد غير مؤهلين.
- اعتمد الدعاة الجدد على وسائل الاتصال الحديثة مثل الإنترنت والقنوات الفضائية لتقديم خطابًا دينيًا جديدًا يحمل مقولات فكرية وقضايا اجتماعية وسياسية تعبر عن رؤى ذات ملامح خاصة تميزت بمقدرة عالية على جذب الجماهير.
- أخذ خطاب الدعاة الجدد يتطرق إلى بعض المشكلات العصرية والاستشارات النفسية والأسرية في إطار الوعظ الفردي لفئات اجتماعية معينة.
- ساهمت القنوات الفضائية بشكل مباشر في انتشار الفوضى في الخطاب الديني الجديد.
- حدث تحول جوهري في مضمون الخطاب الديني المقدم من الدعاة الجدد فبعد أن كانوا يؤكدون حرصهم على تجنب الخوض في أمور الفتوى السياسية ويعرفون أنفسهم كوعاظ ودعاة إلى الله فحسب فإذا بهم يقدمون الفتاوى دون الاستناد إلى قاعدة شرعية ويتعرضون للأمور السياسية في الخطب الدينية.

○ **دراسة: عبد الحكم أبو حطب ٢٠١٢م**(١٧):

تهدف الدراسة إلى تحقيق هدف عام يتمثل في التعرف على رؤية كل من علماء الدين الإسلامي والقائمين بالاتصال في الصحافة الدينية والوسائل المعنية بتجديد الخطاب الديني في الصحف الدينية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتنبثق أهمية هذه الدراسة في ما يلي:

١-إن تجديد الخطاب الديني في الصحف الدينية المصرية ضروري في كل وقت ومتجدد دائمًا.

٢-تعرض عالمنا المعاصر لتيارات فكرية متعددة أتاحت لها وسائل الإعلام والاتصال الحديثة سبل الذيوع.

٣-الحاجة إلى تجديد الخطاب الديني.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات ومنها أن أهم ضوابط تجديد الخطاب الديني من وجهة نظر علماء الدين والقائم بالاتصال في الصحف المصرية هو أن ينطلق فكر التجديد من القرآن الكريم والسنة النبوية أوًلا ثم القياس والاجتهاد، وكذلك توصلت النتائج إلى أن أهم المضامين الذي يجب التركيز عليها المضامين المتعلقة بالقيم الإيجابية لدى أفراد المجتمع وحفظ الوطن والحفاظ عليه.

كما أوصت الدراسة بضرورة تخصيص صحف إسلامية لنشر تعاليم الدين الإسلامي ببساطة ويسر مع ترجمة مضامينها إلى كل اللغات، وكذلك ضرورة إبراز الجوانب الوسطية الإسلامية القائمة على الخير والرحمة والعدل والمساواة والتأكيد على أن تطوير الخطاب الديني لا يعني المساس بثوابت الدين.

○ **دراسة: علي حمودة جمعة سليمان ٢٠١١م**(١٨):

تمثلت مشكلة الدراسة في أن شبكة الإنترنت قدمت الفرصة لنشر الدعوة الإسلامية من خلال نشر تعاليم الدين الإسلامي والثقافة الإسلامي بالإضافة إلى أنها تتيح نوعًا من التعارف والتآلف من المسلمين وتدعم

أواصر الوحدة بينهم وبخاصة في ظل الفراغ الديني الذي يعيشه كثير من الشباب الذي قد يتلقى تعاليم الدين عن طريق الصدفة، ومن كتب تصدر عن غير المتخصصين وفي ظل ذلك تتبلور المشكلة البحثية في "مدى تأثير الشباب الجامعي بالمحتوى المقدم من خلال شبكة الإنترنت ومدى توعيتهم دينيًا والعوامل التي تؤثر في اعتماد الشباب الجامعي على شبكة الإنترنت".

وهذه الدراسة من الدراسات الوصفية واعتمدت على منهج المسح الإعلامي واستخدمت الدراسة أداة تحليل المضمون، وكذلك أداة الاستبيان المطبقة على الشباب الجامعي.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١-احتلت الموضوعات الدينية في اهتمامات المواقع بنسبة ٥١.٧% ثم احتلت الموضوعات السياسية المرتبة الثانية بنسبة ٢٣% ثم الموضوعات الاجتماعية من حيث اهتمام الموقع بنسبة ٨.٢%.

٢-صحة الفرض بوجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى التعرض للمواقع الإسلامية (يوميًا.. أسبوعيًا – شهريًا – حسب الظروف) والخدمات التي يستفيد منها المبحوثين في المواقع الإسلامية.

٣-عدم صحة الفرض بوجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين درجة الاستفادة من المواقع الإسلامية في الموضوعات الدينية والتأثيرات المتحققة بعد التعرض.

٤-تصحيح اعتقاد القائمين بالاتصال في مجال الدعوة لطغيان الصورة الذهنية السلبية لهذه الشبكة حيث يتصور الكثير أنها ارتبط بموضوعات غير أخلاقية.

- **دراسة: حسام محمد إلهامي ٢٠١٠م**[١٩]:

تهدف الدراسة إلى البحث والكشف عن أبرز ملامح ومكونات الخطاب الإعلامي المنشور على مدونات خاصة بجماعة الإخوان المسلمين، كما

حاول الباحث تفسير هذا الخطاب في ضوء السياق السياسي والاجتماعي والثقافي الذي أنتجه وأخيرًا الدور الذي لعبته سمات الوسيلة الاتصالية في تشكيل ملامحه أيضًا.

واعتمدت الدراسة على تطبيق منهجية التحليل الكيفي للخطاب، وعلى وجه التحديد أسلوب التحليل النقدي ويستند التحليل النقدي للخطاب إلى رؤية وظيفية للغة تحاول أن ترصد الوظيفة الاجتماعية للنصوص اللغوية المدروسة.

وكانت أبرز مكونات وملامح الخطاب المنشور على مدونات الإخوان المسلمين كما أوضحتها نتائج الدراسة في إطار ثلاثة مكوناتٍ أساسية هي خطاب الذات أي الخطاب المتعلق بجماعة الإخوان المسلمين، ثم يليه الخطاب المتعلق بالآخر وهو الخطاب المتعلق بالطرف الخصم في معادلة الصراع السياسي وهو في هذه الحالة السلطة السياسية الحاكمة ثم خطاب الواقع وهو موضوع الصراع بين الذاتية والآخر.

وأخيرًا كشفت الدراسة عن أن المدونات شكلت سبيًلا لأعمال وتطبيق النقد الذاتي للحركة من جانب أطراف جديدة لم يكن مسموحاً لها بممارسة هذا النقد في الإطار التنظيمي للحركة.

○ دراسة: نجلاء محمود المصيلحي ٢٠٠٩م [٢٠]:

تمثل مشكلة الدراسة في موقف الخطاب الإسلامي من العمليات التنموية في المجتمع المصري، وأن الحديث عن مجتمع مسلم مأزوم – يعاني من التخلف – لا يعني بحال من الأحوال الحديث عن الإسلام كدين مأزوم، بل عن رؤية وقراءة مأزومة للإسلام.

وموضوع الدراسة هي محاولة لإلقاء الضوء على الخطاب الإسلامي في مصر وعلاقته بالتنمية التي تتمثل في أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن العلاقة ما بين الخطاب الإسلامي في جانبه الرسمي (الأزهر – وزارة الأوقاف – دار الإفتاء) وغير الرسمي كالمساجد غير التابعة لوزارة الأوقاف والبرامج الدينية في الفضائيات والتنمية في مصر.

ولجأت الدراسة إلى تحليل المضمون الكمي والكيفي، كما استخدمت الدراسة أداة تحليل المضمون لعدد ١٣٦ خطبة في كل من الجامع الأزهر وبعض مساجد القاهرة وتحليل مضمون مجلة الأزهر وكذلك تحليل مضمون (٥١) حلقة من البرامج الدينية، وتوصلت الدراسة إلى:

١- انخفاض مستوى الاهتمام بالموضوعات المتعلقة بالاقتصاد عمومًا ويميل إلى الاغتراب عن الواقع الاقتصادي وتجاهل الخطاب للعديد من القضايا الاقتصادية.

٢- أكد الخطاب على الكثير من القيم التي تؤسس مكارم الأخلاق لأنه لم يول عناية لذلك الجانب القيمي الدافع للتغيير والتقدم.

٣- فقد تأثر الخطاب الإسلامي بالظروف الدولية والضغوط الخارجية التي تمارس على الدول الإسلامية في السنوات الأخيرة.

- **دراسة: صالح السيد العراقي ٢٠٠٦م**[٢١]:

تشكلت في هذه الدراسة مشكلتها أنها سعت إلى التعرف على أهم أساليب تطوير الخطاب الديني بالقنوات الفضائية العربية شكًلا ومضمونًا وأداءًا من وجهة نظر كًلا من الخبراء والقائمين بالاتصال في تلك القنوات الفضائية. كما سعت الدراسة إلى وضع أجندة للخطاب الديني انطلاقًا من إستراتيجية التطوير.

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو منهج المسح الإعلامي الميداني المطبق على عينة من الخبراء في مجال الإعلام الديني والدعوة وعينة من القائمين بالاتصال بالقنوات الفضائية العربية، وبلغت ٩٠ مفردة من الخبراء والقائمين بالاتصال. واستخدمت الدراسة أداة الاستبيان بالمقابلة مع القائمين بالاتصال.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

١-أن جميع أفراد عينة الدراسة يشاهدون القنوات الفضائية العربية بنسبة ١٠٠%.

٢-أن نسبة ٧٦.٧% من أفراد عينة الدراسة يشعرون بالرضا عن الخطاب الديني في القنوات الفائية.

٣-شكل عدم قدرة الخطاب الديني على إظهار جوهر الدين الإسلامي الصحيح أبرز أوجه القصور التي يعاني منها الخطاب الديني الحالي بالقنوات الفضائية العربية وذلك بنسبة ٧٦%.

٤-أهم ضوابط تطوير الخطاب الديني يتمثل في أن ينطلق فكر التطوير من القرآن والسنة النبوية ثم اجتهاد العلماء.

التعليق على الدراسات السابقة:

بمراجعة التراث العلمي للدراسات والأبحاث التي تناولت الخطاب الديني لوحظ أن هناك دراسات اهتمت بالأدوار مثل: دور الصحف الإسلامية في إمداد الشباب الجامعي بالمعلومات، دراسة يسري فهمي، وكذلك دراسات اهتمت بالتيارات الفكرية والسياسية والتأثيرات المتبادلة للخطاب الديني، ودراسات اعتمدت على البحث المكتبي لتحليل الدراسات المتعلقة بالخطاب الديني، وكذلك دراسات هدفت إلى التعرف على رؤى القائمين بالاتصال في عملية تجديد الخطاب الديني كما في دراسة عبد الحكيم أبو حطب، ودراسات اعتمدت على تحليل الخطاب الديني على شبكة الإنترنت والمدونات كما في دراسة حسام محمد إلهامي، ودراسات تناولت موقف الخطاب الإسلامي من العمليات التنموية كما في دراسة نجلاء محمود المصيلحي، وأخيرًا دراسات سعت في التعرف على أهم أساليب تطوير الخطاب الصحفي في القنوات الإعلامية والفضائية العربية كما في دراسة صالح العراقي. ونحاول في هذه الدراسة أن نبحث في إشكالية تناول الخطاب الديني ولكن برؤية نقدية حيث أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت التجديد بالنسبة للخطاب الديني من زوايا أخرى وهناك دراسات تناولت

الخطاب الديني وعملية تجديده وتأثيرها على المجتمع وبرؤى نقدية اجتماعية كما في دراسة (أحمد خيري ٢٠١٥) الذي تناول المدخل النقدي في الدراسات الإعلامية فيما يتعلق بالقضايا التقدمية مثل الحرية السياسية وحقوق المرأة والتشجيع على العمل والتعايش السلمي مع الآخر.

ثالثاً : مشكلة الدراسة :

يعاني الفكر الديني إشكالية إنتاج الأزمة التي تتمثل في إعادة إنتاج الفكر نقلاً دون إبداع أو تجديد ودون حوار مع النص المنقول بشكل إيجابي الأمر الذي أدى إلى وجود عناصر ثابتة لأزمة هذا الفكر واستمراره والمتمثل في الخطاب الديني الذي لا يُعني منه إلا الإبداع والتجديد وبخاصة في عصر تجلت فيه الإبداعات العلمية في كافة مجالات الحياة **وذلك يستدعي طرح السؤال والرئيسي التالي:**

ما واقع الخطاب الديني الحالي، وما مستقبل وجوده وتأثيره؟

وللإجابة على هذا السؤال: يمكن الإجابة عن الأسئلة الآتية التي تم تقسيمها في هذه الدراسة إلى:

المبحث الأول: ما واقع الخطاب الحالي تراثاً وفهماً دور العقل في تناوله؟

المبحث الثاني: ما مفهوم الخطاب الديني وفهمه والممارسة العلمية له.

المبحث الثالث: كيف يمكن بناء الخطاب الديني على ضوء متغيرات العصر والعولمة؟

المبحث الرابع: النتائج والتوصيات.

رابعاً : أهمية الدراسة :

تأتي الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني في مقدمة الأولويات المجتمعية وذلك مع ظهور موجات جديدة من التطرف الديني والتعصب والإرهاب واستشعار خطورة كل هذه الظواهر السلبية على المجتمع المصري والعالم العربي بل العالم بأسره، وفي ظل تزايد لهذه القضية وبزوغ متغيرات جديدة

علـى المسـتوى الإقليمـي والـدولي والمحلـي، وظهـور الجماعـات الدينيـة والإرهابية وما وقع في أنحاء العالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

لذلك تأتي أهميـة هذه الدراسـة فـي الخطـاب الـديني وإشكالية التنـاول مـن جانب المؤسسات الدينية والمعنية بالخطاب الديني.

فتجديد الخطـاب الـديني يـرتبط ارتباطـاً وثيقـاً بتجديد الفكـر الـديني بصـفة خاصة وتجديد الفكر بصـفة عامـة، فالخطـاب الـديني يبنـى علـى الفكـر الـديني السـائد فـي المجتمـع فـإذا كـان الفكـر الـديني سـليماً، فسيكون الخطـاب الـديني إيجابياً وبنـاءاً وهادفـاً أمـا إذا لـم يكـن الفكـر الـديني كذلك فسـوف ينعكس ذلـك على الخطاب الديني بالسلب.

وترجع أهمية هذه الدراسة أيضـاً إلى دعـوة الـرئيس عبد الفتـاح السيسـي بضرورة تجديد الخطاب الديني حتى يتواكب مع هذه المرحلـة والـتخلص مـن الركود الفكري بالنسبة للمؤسسات الدينيـة وخاصـة وزارة الأوقـاف ومؤسسـة الأزهر ومطالبة هذه المؤسسات بضـرورة نشـر الفكر المعتدل والبنـاء لهذا المجتمع حتى يسع جميع طوائفه دون تمييز أو تعصـب ولكـي ينتج عن هذا الخطـاب الـديني المعاصـر وحـدة المجتمـع المصـري وعـدم التفرقـة بـين الأشخاص بناءاً على ديانتهم.

ولذلك تمثل أهمية الدراسة في:

خامساً : أهداف الدراسة :

في ظل تعالي الدعوات إلى ضرورة التجديد فـي الخطـاب الـديني والعقـل والفكـر الـديني بمـا يتواكـب مـع متغيـرات العصـر والحداثـة وضـرورة تجديد أواصـر العلاقـة بـين المؤسسـات الدينيـة والدولـة ومشـاركة مؤسسـة الأزهـر فـي ذلـك كجـزء مـن أجهزتهـا الأيديولوجيـة **تهدف الدراسة إلى عدة أهداف وهي:**

١- تجديد بنية العقل والفكر والخطابات الدينيـة الوضـعية البشـرية إنتاجـاً وتفسيراً وتأويلاً وتأصيلاً.

٢- صياغة خطاب ديني ودعم حقوق الأقليات الدينية في إطار مبدأ المساواة وعدم التمييز ما بين الأفراد حسب ديانتهم داخل المجتمع المصري.
٣- التأكيد على التسامح وقيمه والحرية والإرادة الحرة والمسؤولية الفردية والجماعية.
٤- تجديد وتحريك العقل ولا تحرك دون وعي موضوعي وتاريخي بأن ثمة مسألة دينية وأعطاب تتصل ببنية العقل الإسلامي عموماً والمصري خصوصاً.
٥- ضرورة مراجعة نقدية للسياسات والإستراتيجيات الدينية طيلة عقود طوال وحتى الوضع الحالي في مصر حتى نصل إلى التجديد المنشود.
٦- الوصول من خلال الخطاب الديني إلى احترام الآخر والتأكيد على سماحة الدين الإسلامي في احتواء غير المسلمين.
٧- وضع محاور ارتكاز مستقبلية للخطاب الديني.
٨- صياغة خطاب ديني يحارب الغلو والتطرف ويتماشى مع التحولات العالمية بما يحافظ على ثوابت الدين الإسلامي.

سادساً : نوع الدراسة :

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التي تهتم بوصف الظاهرة وصفاً دقيقاً شاملاً من كافة جوانبها ومحاولة مناقشة وتحليل ونقد ظاهرة معينة من خلال جمع المعلومات من عدة مصادر وهذه الدراسة دراسة وصفية لأنها تسعى إلى وصف إشكالية تجديد الخطاب الديني ومحاولة الوصول إلى خطاب ديني موحد يعمل على بناء العقل الإنساني وفض الاشتباك حول إشكالية تجديد الخطاب الديني.

سابعاً : الإجراءات المنهجية للدراسة:

المنهج النقدي: اعتمدت الدراسة على المنهج النقدي حيث ينطلق المنهج النقدي بصورة عامة من فرضية وهي أن التحليل والتفسير لا ينبغي أن يقفا

عند الظاهر ولكن الفهم النقدي يسعى إلى متابعة الظاهرة في أعمق الأعماق التي تمتد إليها لكي يراها في ترابطها وتقاطعاتها وتفاعلاتها مع غيرها من الظواهر أو النظم ولكي يتعرف على تاريخها الذي أوصلها إلى ما وصلت إليه من حالة[٢٢].

وربما من المفيد أن نتعرف على مرتكزات النظرية النقدية بشكل عام وأهمية ذلك ترجع إلى أن هذه المرتكزات تعمل أينما اتجه الباحث النقدي باهتماماته، كما أن النظرية النقدية ليست إطاراً جامداً ثابتاً وإنما هي بنية دائمة التجدد والتجاوز لعناصرها ومن ثم تكون المنطلقات الفكرية الأولية أرضية شبه ثابتة يتحرك عليها المفكرون النقديون بحثاً عن ضالتهم، مجتمع إنساني تنمحي فيه المظالم والقهر والتزييف الأيديولوجي والخيارات **والأنانية إلى غير ذلك من بشاعات النظام الرأسمالي وأهم هذه المرتكزات هي[٢٣]:**

١- مؤتلف جدلي تنصهر فيه الرؤية الفلسفية والفهم العلمي المستند إلى نتائج العلوم الإنسانية والمجتمعية للمجتمع الذي تخصصه للنقد.
٢- الاختيار ليس بين بديلين يلغي أحدهما الآخر وإنما ينفتح الاختيار على كل البدائل المطروحة التي تتمتع كلها بوجود مشروع يسمح بالمزاوجة بينهما.
٣- التوازن الأمثل في حياة المجتمع هو الذي يسمح للفرد بأن يحتفظ باستقلاليته دون أن يكون ذلك على حساب تضامن الجماعة وترابطها فلا تعارض بين هذا وذاك.
٤- الثورة على كل أشكال التطرف الرافضة للآخر.
٥- الثورة ضد كل أشكال التفرقة العنصرية.
٦- احترام القيم النبيلة التي تدعم تواصل وتضامن المجتمعات الإنسانية التي تسمح بعالم أكثر عدالة وأكثر إنسانية وعقلانية وتسامح.
٧- تحرير إنسان لا يعتمد فقط على حصوله على نصيب عادل من ثروة مجتمعة يوفر له الاستقلال الاقتصادي وإنما يتطلب أيضاً أن يهيمن الإنسان على حياته ثقافياً وسياسياً.

٨- مشاركة حقيقية للإنسان في كل القرارات التي تمس حياته أساس لقيام مجتمع العدل والحرية والمساواة.

وعند الحديث عن المنطق الصوري في القضية الأصولية يمكننا الحكم بأن الإسلام عنده في هذه الفقرة يعني الأصوليين المعنيين في أحكامهم بين الحرام والحلال فيمكن ملاحظة أن الإسلام التقليدي في نضاله ضد الإمبريالية قد اكتسب تجربة حديثة ليس فقط في أساليبه بل في توجهه وممارسته إلى حد ما قام بتطوير أنماط تنظيمه السياسي ورضي بتعديل بعض النماذج العقلانية الغربية وتقنياتها، إلا أنه بقى يعاند الاختلاف معه فلم يقبل المساومة ومن هنا لا يرضى غلا بالنصر أو الشهادة لحسم دفة الصراع.

ونجد أن الأصوليين ليس كلهم جامدين في رؤاهم للواقع ونجد أن هناك علاقة وطيدة بين التغريب والعلمانية من ناحية وبين الحداثة وما بعد الحداثة من ناحية أخرى، يمكن النظر إلى البعث الإسلامي كحركة تحرير سياسية ونهضة ثقافية[٢٤].

ويمكننا القول بأن مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة يدلن على إحساسات وتقديرات لا على وقائع وأحداث ومن ثم فهما يعكسان بنيات إحساس Structures of feeling لا بنيات واقع[٢٥].

لذلك نجد أن هناك العديد من الأسئلة البديهية يطرحها العقل المصري منذ نهاية القرن التاسع عشر وتدور في غالبها الأعم حول لماذا تخلفنا؟ ولماذا تقدموا؟ كيف يمكن تجاوز حالة التخلف التاريخي عن التطورات الكبرى في المركز الأوروبي آنذاك فرنسا –وبريطانيا في الصناعة والزراعة والعلوم الطبيعية والاجتماعية، وتعددت الإجابات على هذه الأسئلة[٢٦].

ومن هذا المنطلق تم استخدام المنهج النقدي لفض إشكالية تجديد الخطاب ومحاولة الوصول إلى فهم صحيح يتفق وثوابت الدين الإسلامي، حيث اعتمدنا على المنهج النقدي لمحاولة الوصول أيضاً إلى خطاب ديني بعيد عن

التطرف ومحاولة وجود وعي أو إعادة بناء الوعي، نحو عملية التجديد ووضع مرتكزات للخطاب الديني ليرتكز عليها مستقبلاً وأيضاً إيجاد خطاب ديني يجد فيه الآخر نفسه وينبذ الفرقة ولا يدعو إلى التعصب والتشرذم ويتفق أيضاً وقبول الآخر ولا يدعو إلى التطرف.

المبحث الأول
ما واقع الخطاب الحالي تراثاً ومنهجاً ودور العقل في تناوله

أولاً : إشكالية الخطاب الديني بين المعرفة التراثية وسوء الفهم:

أدى تفاوت فهم المسلمين وتفسيراتهم لأسس ونصوص شريعتهم الإسلامية التي هي في أصلها شريعة سمحة، أدى ذلك إلى خلق العديد من التناقضات التي شاعت في الخطاب الديني، أججت الكثير من الاضطرابات في الفهم والنفسية ومن ثم فقد شاب الخطاب الديني كثير من المغالطات التي ساهمت في سكون العقل العربي وإلى شيوع الركون إلى ما تحقق في الماضي دون النظر للحاضر الآني الذي يستدعي منا تحديداً في خطابنا الديني، فسنة الكون تقوم على الاختلاف والتجدد والنمو والتطور.

ولقد كان لدخول غير المختصين مجال الدعوة والتفسير وعدم التزامهم بالشروط والقوانين للمجددين الموكل إليهم الإفتاء والتفسير، لما وجدنا أنفسنا أمام كل هذه الشيع والفرق المتناحرة من التيارات الإسلامية والجماعات الإسلامية التي تتراوح بين الاعتدال، والتطرف إلى حد كاد يضيع معه الإسلام الصحيح(٢٧).

وقد حدد القرآن الكريم الشروط التي يجب أن تكون في من يتعرض لمسألة التجديد في الخطاب الديني يقول ـ: (**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**) **[سورة السجدة:٢٤]** .

وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) [سورة الأنبياء:٧٣].

فالخطاب الديني ينبغي أن يكون أساسه المعرفة العميقة بآياته ـ والصبر على هذه المعرفة حتى تكون معرفة متقنة، فالخطاب الديني ليس موكولاً غليه

الوقوف على ظاهر الآيات دون باطنها أو على الأقوال دون الأفعال.

وتجديد الخطاب الديني يعني التعامل مع التراث القديم كحقيقة موضوعية قابلة للتجديد، مع المحافظة على بقاء الأصول ثابتة، كما هو الحال في كل عمليات التجديد، بمعنى أن نفرق – في دائرة الموروث – بين ثوابت وبين متغيرات نستبقى الأولى كما هي، وننطلق في ضوء بقائها وثباتها إلى تجديد الثانية ونحقق من خلالهما معاً حركة التطور أو ما يسمى بالأصالة والمعاصرة[٢٨].

والتراث ليس هدفاً يتحرك في إطاره حياتنا المعاصرة بقدر ما هو وسيلة خاضعة لإعادة التفسير أو إعادة البناء من أجل تطوير الواقع وحل مشكلاته، وأمر طبيعي أن يتجدد التراث لصناعة خطاب ديني يتجرد من كل قيمة ذاتية أو خصائص ثابتة، لا على مستوى الأصول، ولا على مستوى الفروع، والقيمة الوحيدة التي ستبقى للتراث في إطار هذه النظرة هي: مدى قدرته على تقديم نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره[٢٩].

فمشكلة الإسلام اليوم ليست في خصومة، لأن أمرهم معروف، ولكنها في الجهلاء من أبنائه الذين يدخلون بالمسلمين في دروب وطرق تؤدي إلى الهلاك من خلال خطاب ديني مغلوط ومؤسس على المصلحة الذاتية، مع أن طريق الإسلام واضح لا عوج فيه، وهو الصراط المستقيم كما يقول الله ـ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [سورة الأنعام:١٥٣] .

وقد اعتمد الإسلام آلية للتجديد تتمثل في "مبدأ الاجتهاد" الذي يشمل كل المجالات بما فيها المجال الديني، وقد كان تأكيد الإسلام على ختم النبوة مؤذنا برفع الوصاية عن العقل، ومطالباً بأن يثق في قدراته، وأن يعتمد على نفسه في كل ما لم يرد فيه نص ديني قاطع.

وللعقل دور بالغ الأهمية في إحداث التغيير والتجديد وبخاصة في مجال الفكر، وإذا استقام الفكر استقام الفهم للدين، واستقامت أمور الحياة، وانفتح الطريق ممهداً أمام تجديد الحياة وتطويرها والارتقاء بهما وبناء الحضارة

الإنسانية على أساس خطاب ديني استوعب فهم الفكر فهماً صحيحاً من خلال إعمال العقل وهذه النظرة للعقل الإنساني هي مرتكز التجديد في الخطاب الديني[٣٠].

فتجديد الخطاب الديني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتجديد الفكر الديني بصفة خاصة، وتجديد الفكر بصفة عامة، فالخطاب الديني ينبني على الفكر الديني السائد في المجتمع، فإذا كان الفكر الديني سليماً، فسيكون الخطاب الديني أيضاً إيجابياً وبناءاً وهادفاً، أما إذا لم يكن الفكر الديني كذلك فسوف ينعكس على الخطب الديني بالسلب. وتجديد الخطاب الديني مرتبط بحقوق الإنسان، فالإنسان من حقه توعية دينية سليمة تحرك العقل، وتنشط الذهن والفكر وتدفع الإنسان للعمل والإنتاج والإسهام في تطوير الحياة[٣١].

وأول ما يتبادر إلى الذهن في عملية تجديد الخطاب الديني، البعد عن الغلو والتشدد والتطرف، والتعامل مع النص بروحه وليس حرفيته.

ففكرنا الإسلامي يمتاز عن غيره من سائر الأفكار الدينية، بأن له ميزانا يوزن به، عندما يتجلى الله على من شاء من خلقه بجمعه بين حفظ النص، وفهم النص فضلاً عن منّة زائدة وهي إدراك روح النص، لأن الحفظ قاسم مشترك بين الصالحين والطالحين والبار والفاسق، والفهم يفتقر إلى التقى، وأما إدراك روح النص فهو الحكمة[٣٢] التي قال الله بحقها: (. **يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**) [سورة البقرة:٢٦٩] .

والخطاب الديني يحتاج منا إلى فهم الفكر فليست هناك أزمة خطاب ديني ولكن الأزمة الحقيقية أزمة فهم فعلى سبيل المثال، "إن الحضارة تنقسم إلى قسمين، جزء مادي من علوم الكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات إلى آخره، وجانب معنوي يخص كل حضارة من لغة وعادات وتقاليد ودين وفنون وهذا يخص كل شعب من الشعوب، أما العنصر المادي فهو قابل للانتقال من مكان إلى آخر دون تغيير، فليس هناك كيمياء إسلامية وكيمياء مسيحية، وإنما هناك لغة مختلفة ودين مختلف ونظام قانوني مختلف وهذه هي خصوصيات الفكر الإسلامي"[٣٣].

ثانياً: الخطاب الديني والإدراك العقلاني للواقع المتعدد :

والخطاب الديني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتربية، والتربية تتعامل مع مفردات الحياة بما فيها العقل والدين، والدين يرتبط بالنص المقدس؛ والدين في ذاته ليس تقدمياً ولا رجعياً. الدين هو "كلمة الله" العليا التي ألقاها إلى البشر عبر الأنبياء وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وأمرهم بطاعتها والعمل بها، ثم ترك لهم حرية التعامل مع تلك "الكلمة العليا" فهماً لها وعملاً بها. فإذا كان هناك احتمال للحديث عن التقدمية والرجعية في الدين فهو بالضرورة حديث عن اختيارات المتدينين من الرجعية والتقدمية، بحسب أنماط تفكيرهم وروافدها المعرفية الظاهرة والخفية، كما هي مواقعهم على خريطة المصالح الاجتماعية والطموحات السياسية. وهكذا كان الحال ماضياً وهكذا هو راهنا، وهكذا كان الحال في الفكر الإسلامي وغير الإسلامي الذين أحرقوا جان دارك لا يختلفون كثيراً عن الذين صلبوا الحلاج، كل كان يستعمل "النص المقدس" كخطاب ديني لفرض إرادته وتحقيق مآربه من خلال تفسيره الخاص للنص المقدس بما يتلاءم وما يريد(٣٤).

لذلك كان من الضروري تجديد الخطاب الديني في إطار عقلانية راشدة، لأن العقل هو ملكة الإدراك فهماً وتصوراً، وهو صاحب التأمل، وهو الراشد والعقل موصول بالتكليف، وكل أمر بالمعروف، وكل نهي عن محظور.

وارتباط العقل بالخطاب الديني منهج إسلامي؛ لأنه الدعامة الأولى لتحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك عقله، ويستقيم تفكيره، وتكمل له شخصيته وإنسانيته، فإن كمال العقل،واستقامة التفكير، واستقلال الإرادة هي أساس صحة العقائد(٣٥).

ولما كانت المناهج التربوية تصاغ لتنزل إلى واقع الناس، وتعايشهم أحداث هذا الواقع ومشاكله، فلابد أن تكون هذه المناهج كفيلة بتوحيد التوجه لأسلوب التعامل مع الواقع من خلال خطاب ديني يحمل التصور والبنية

العقائديـة والفكريـة، فالخطـاب الـديني هـو مـنهج تربـوي يحمـل اعتقـاداً وتصـوراً يصـوغ بـه الفـرد صـياغة شـاملة روحـه وعقلـه وجسـمه بتناسـق لا انفصام بينها.

علـى ذلـك يكـون الخطـاب الـديني مطالبـاً بـأن يكـون بعيـداً عـن خطـاب الإرهاب والتخويف السلبي المدمر للطاقات النفسية اللازمة لصفات الشجاعة والثقة والاعتزاز والمبادرة وبخاصة عند الناشئة.

إن أسلوب الخطاب الديني وتأثيره فـي البنـاء النفسـي فـي مرحلـة الطفولـة مرحلة إثر مرحلة وعاماً إثر عام، على نحو ما نرى من تطور الجسد ونموه، هو من أهم أمـور التربيـة التـي يجـب أن نـدرك طبيعـة ومدى تـأثيره فـي بنـاء نفسية الطفل، وأن نعني بمعرفة صفات هذا الخطاب[٣٦].

ثالثاً: العقل النقدي وبناء الخطاب الديني:

كما أن الخطاب الديني لا يجب أن يقع في مشروع تصادمي، مـع الثقافـة، كونها هي مجمل النشاط الإنساني في حقول الإبداع الفكري والأدبـي والفنـي، لأن هذا النشاط هو نتاج العقل. فالعمل الثقـافي عمومـاً شـديد الارتبـاط بالمنـاخ الاجتمـاعي وبالوضـع الاقتصـادي العـام، وقيـام الثقافـة مـن بـاب التنميـة علـى النحـو الـذي يحقـق التقـدم الثقـافي والازدهـار الفكـري ويكفـل تطـور المجتمـع، مـرتبط ذلـك بتوجهـات الخطـاب الـديني، وهـو أمـر مرهـون بإيجـاد الـدوافع الموضـوعية، والحـوافز الذاتيـة لـدى الأفـراد والجماعـات مـن خـلال الخطـاب الديني، وكذلك على المستويين الرسمي والشـعبي، والتـي مـن شـأنها أن تطلـق القـدرات، وتفجـر المواهـب، وتحـرك الملكـات للإبـداع وللابتكـار وللإنتـاج الفكري الذي ينعش الحياة، ويمتع الإنسان، ويساهم مساهمة فعالـة، فـي تطـور المجتمع فكرياً وثقافياً، وفي رقيّه اجتماعياً وحضارياً[٣٧].

ويقودنا ذلك إلى ضرورة التفعيل الحقيقي للعقل النقدي، فقد سبقتنا الثقافـة الأوربية في تشكيل هذا العقل منذ رفعت شعار الحداثة، وأهمهـا أن العقـل هـو محك الحكم علـى الأشـياء، فمنـذ أن أعلنـت الثقافـة الأوربيـة ثورتهـا المعرفيـة ضد قيود الفكر، وأرست مبادئ الشك الفلسفي الذي من تقاليده مساءلة

المجتمع والثقافة من قبل الفلاسفة والمفكرين والسياسيين هو الذي دفع بالمجتمعات الأوربية إلى آفاق التقدم(٣٨).

وإذا نظرنا إلى الدول المتقدمة نجد أنها تبحث وتتصارع على الحاضر والمستقبل فهم يقاتلون من أجل الغد ومن أجل الاستحواذ على الثروة وعلى عقول العلماء وفي الوقت الذي ينقلون فيه ميادين معارفهم إلى الفضاء مازلنا نحن نتعارك على من الأحق بالخلافة وزواج المتعة والمسيار وإرضاع الكبير وأيهما أصح البخاري أم الكافي؟ ولنا أن نتصور عالمنا الإسلامي لو لم يسقط في هوّة هذا الصراع التاريخي وبات يقاتل من أجل حاضره ومستقبله.

وعدم تفعيل العقل النقدي في الخطاب الديني يؤدي إلى نفور العديد من التدين حيث يصاغ الخطاب الديني على أسس متشددة في نفس الوقت الذي نحتاج فيه إلى التيسير والتخفيف، حتى لا نضع العجز في نفوس الناس فيشعرون أن بينهم وبين الإسلام مسافات غير قادرين على اجتيازها.

ومن ثم فينشغل الخطاب الديني بأشياء ليست ذات أولوية مثل مسألة عذاب القبر، وعذاب الأولويات في الخطاب الديني يفضل إلى ضرر عظيم، والأهم من ذلك انشغال الخطاب الديني بفقه العزلة، وفقه العمل الخفي، وهذان فقهان مضلان، وفي العزلة يحدث كل شيء، وتتغير الألوان، وقضية العلاقة مع الآخر، ففي ظلال العزلة يتصور البعض أن المسلمين في قتال دائم مع الدنيا كلها، ويقسمونها إلى دار حرب، ودار سلام(٣٩).

حين نرصد أسباب الخلاف بين الفرق والمذاهب الإسلامية سنكتشف أن الأمر يتعلق في بعض الأحيان بالتاريخ فنحن نتوقف أمام ماضي سحيق فيأتي من ينتصر لهذا أو ذاك ويأتي من يقدس شخصاً ويرفع منزلته ويلصق به بعض التعاليم التي تتوارثها الأجيال بما فيها من كراهية للطوائف الأخرى نتج عنها موقف تاريخي قديم يتعلق بالصراع على الزعامة وقد بدأ يتم ذلك عقب مقتل الخليفة الثالث عثمان ابن عفان ت مباشرة وامتد حتى يومنا هذا.

والعزلة لا تنتج معرفة حقيقية، وقضيتنا في الواقع هي عملية إنتاج المعرفة، لأن إنتاج المعرفة يؤدي إلى تجديد وتطور الخطاب الديني، وبخاصة أن العالم تغيّر، وتسعى الدول ذات النفوذ الحاكم اقتصادياً وسياسياً وفكرياً وعسكريًا إلى صياغة ثقافة عالمية تتعارض مع خصوصيتنا الإسلامية والعربية.

وهناك في الخطاب الإسلامي المعاصر إدانة للحضارة الغربية، وأوصاف سلبية للمجتمعات الغربية، وكأنها مجتمعات كافرة وملحدة ومنحلة أخلاقيا، فالحضارة الغربية نحن من صنّاعها، ولو لم تكن الحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر، ما كانت الحضارة الغربية، وخير شاهد على ذلك حضارة المسلمين في الأندلس، وكيف كان الغرب يبعث بالرسل لتعلم اللغة العربية، ونقل المخطوطات العربية، وترجمتها إلى اللاتينية، فالحضارة الغربية الحديثة بمنهجها العلمي أخذت من الحضارة الإسلامية، وبالتالي الحضارة الغربية حضارة إنسانية من حقنا أن نأخذ منها، ومن حقنا أن نرفض بشرط إعمال العقل النقدي[٤٠].

المبحث الثاني
ما مفهوم الخطاب الديني وفهمه والممارسة العملية

أولاً : مفهوم الخطاب الديني :

يحتوي الخطاب معرفة قصدية، تهدف إلى تحقيق غرض ما، وهي قابلة للتغيير من نسق إلى آخر، تلك المعرفة ينتظمها خطاب يحاول إيصالها. فكثير من الخطابات تخضع للمعارف التي تستخدم فيها، كالخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب الديني، والخطاب التربوي، والخطاب الأدبي[٤١].

والخطاب في "لسان العرب"، من مادة (خطب) والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن، والحال، والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان، الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة[٤٢].

وفي المعجم الوسيط، الخطاب هو الكلام والخطاب المفتوح، خطاب يوجه على بعض أولي الأمر علانية، والخطبة الكلام المنثور، يخاطب به متكلم في جمع من الناس لإقناعهم والخطيب المتحدث عن القوم[٤٣].

والخطاب لغة على وزن فعال. مأخوذ من خاطب ومصدره خطاباً، ومخاطبة على وزن مفاعلة. وفصل الخطاب هو ما ينفصل به الأمر ، الخطاب في شئون القضاء، وقيل إن فصل الخطاب معناه الفصل بين الحق والباطل، وأن يميز فيه بين الحكم وضده، وقيل أيضا: إنه خطاب لا يكون فيه اختصار مخل ولا إسهاب ممل[٤٤].

والخطاب: الكلام. وفي القرآن الكريم: (فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب)، ويستعمل لفظ الخطاب اصطلاحا بمعان شتى تبعا لطبيعة الموضوع، الذي ينصب عليه الخطاب، وتبعا للأغراض التي يتوخى تحقيقها منه على النحو الذي يحدده المنطق، وفلسفة التشريع، والأيديولوجية المتبناه في صياغة التشريعات(٤٥).

وعلى ذلك فإن الخطاب يتجاوز الشكلانية العضوية، ويمتد إلى وسائل الإقناع، وبنوعية البرهان، وأدوات الأسلوب البياني(٤٦).

وفي علم اللغويات يرى العلماء أن الخطاب مصطلح يشير إلى امتداد لغوي له بناء منطقي سليم(٤٧).

وإذا كان الخطاب هو الكلام. فإن هذا الكلام قد يراد به: التبليغ، أو التدليل للإظهار الحجة، وإيراد الدليل، أو التوجيه لبث قيم في الأقوال، تستنهض همسة الغير للعمل أو إيضاح معنى، أو الفصل في القول، وتتفاوت قدرة الناس على ذلك(٤٨).

ثانياً: الخطاب الديني بين التطرف والتحولات العالمية:

نحن نعيش في عالم شديد السرعة في التغيير، وقد انتظم هذا التغيير تحت ما اصطلح عليه العولمة في محاولة للسعي إلى تحويل العالم إلى مجال **واحد من العلاقات عن طريق تحقيق سيطرة ثلاث:**

١ – سيطرة التقنية في حقل العلم.

٢ – سيطرة الشبكة في حقل الاتصال.

٣ – سيطرة الاقتصاد في حقل التنمية.

وقد نتج عن التغييرات العولمية عدة نتائج منها:

أولاً: إن العولمة ليست حالة للعالم، وإنما فعل فيه، ولا هي فعل منته، وإنما فعل مستمر.

ثانياً: إن أثر هذا الفعل المستمر هو توحيد العلاقات أو الارتباطات داخل العالم بمعنى أن هذا العالم يصير نطاقا اجتماعيا واقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

ثالثاً: إن الوصول إلى هذا التشابك المتزايد في العلاقات مع حفظ وحدة مجالها يتم بواسطة تحصيل سيطرة التقنين، وسيطرة الشبكة، وسيطرة الاقتصاد[٤٩].

ولما كان هذا هو الواقع الذي نعيش فيه، يلزم أن يكون الخطاب الديني يتنوع تنوعاً يتناسب مع حالة الإنسان، فهو أولاً خطاب يحمل مضامين دينية، وثانيا هو خطاب الرسل والأنبياء وكلاهما موجهان إلى الإنسان.

والخطاب الذي نقصده في كونه خطاباً دينياً لابد أن يكون إسلامياً بعيد عن التطرف والغلو والتشدد الفكري، لأن التطرف الفكري انحراف وميل عن القصد وبُعد عن الوسطية والاعتدال.

وتحمل بعض توجهات الخطاب الديني تطرفاً فكرياً، وهو بمثابة تعصب مذهبي أو عنصري أو سياسي، مما دفع المتطرفين أن يستبيحوا لأنفسهم فهم النصوص الدينية حسب أهوائهم لتأييد اتجاهاتهم.

بل إن التطرف دفع معتنقيه على أن افترقوا على بعضهم بسبب تعصبهم، وأشدهم خطراً ما كان متصلاً بالدين إلى درجة تكفير بعضهم بعضاً[٥٠].

وللفكر المتطرف الذي تحمله بعض الخطابات الدينية أثره في تنامي في ظاهرة العن فن لأن أصحاب هذا الفكر أغلقوا على أنفسهم مناقد المعرفة، وتمسكوا بما أملى عليهم من الأفكار، فظنوا – ظلماً وجهلاً – أنهم وحدهم على الحق، وأن جميع من ليس على فكرهم على الباطل، بل وصل الأمر إلى تكفير الغير، وغلى استباحة دمائهم[٥١].

وقد كان لانتشار ظاهرة التطرف الديني أسباب كثيرة ومتعددة، منها ما يخص المجتمع والمحيط الاجتماعية ومنها ما يخص الشخص ذاته، ومنها غياب الوعي الديني والفهم العميق للنصوص الشرعية وتلقى الفتوى من غير المتخصصين، والملتزمين سلوكاً وقولاً. أدى إلى الخلط والفوضى في المفاهيم، وبالتالي انعدام الوسط الثقافي الديني السليم في المجتمع، كل ذلك أدى إلى خلق وسط بديل للشباب يشبعون فيه أهواءهم ونزواتهم[٥٢].

وأخطر مما سبق أن تحمل بعض الخطابات الدينية تأكيداً لهذا التطرف والتشدد دون تجديد، فتجديد الخطاب الديني وخلوه من التطرف أمر ضروري، فالتجديد سنة الكون والحياة فالحياة متجددة باستمرار، والمتغيرات من حولنا لا تكف عن الحركة، ومن الطبيعي أن يكون الخطاب الديني مواكباً لظروف كل عصر ولما يدور فيه من متغيرات. لذلك لابد أن يكون هذا التجديد أسلوباً ومضموناً حتى يستطيع الوصول إلى عقول وقلوب الناس دون تطرف وغلو.

وإذا حمل الخطاب الديني تطرفاً فإنه سوف يقود إلى الإرهاب والعنف وهذا ما شهدته مصر في أعقاب ثورة الثلاثين من يونيو التي قام بها الشعب المصري في عام ٢٠١٣ حيث رفض الشعب الخطاب الديني الصادر على جماعة استطاعت أن تحتال على حكم مصر لمدة عام حاولت فيه تطبيق خطابها الديني الزائف الذي خدعت به الشعب المصري ثم تحول بعد إقصائهم من السلطة إلى خطاب للإرهاب والعنف والدم. حيث قامت أيديولوجية تلك الجماعة على التطرف الذي أكد التمييز وحث على العنف وهذه الأيديولوجية كادت أن تهدد بقاء الدولة المصرية كدولة مركزية.

ومن ثم كان على التربية أن تناضل ضد هذه الأيديولوجية التي انتشرت بسرعة لا مثيل لها داخل المجتمع وخارجه، فهذه الأيديولوجية التعصبية لا تعرف حدوداً لها، وهي لا تتوانى عن التأكيد بأن العنف أمر ضروري ومشروع في المجتمعات الإنسانية، وعنف هذه الأيديولوجية تؤدي إلى انهيار الحياة الاجتماعية بل ومحو حدود الدولة. وهكذا ما أكده خطابهم الديني حيث كانت حدود مصر بالنسبة لهم غير معترف بها فهي جماعة أممية حملت خطابها الديني تلك الأدبيات وغرسوا ذلك في نفوس أتباعهم جيلاً بعد جيل.

وقد حث الدين الإسلامي على نبذ العنف والخوف (التخويف)، بل إن الإسلام يحرم الإرهاب حتى ولو كان بالنظرة، التي يخيف الإنسان بها أخاه الإنسان، فيقول صلى الله عليه وسلم: "من نظر إلى أخيه نظرة يخيفه بها، أخافه الله يوم القيامه." رواه البخاري.

ولا يقتصر أمر حرمة النفس الإنسانية، وأمر صيانة الإنسان لها على هذا النحو وحسب، بل إنه حرمة النفس ولو كانت غير مسلمة، ولو كانت غير نابعة لدين الإسلام – يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "من آذى ذمياً فأنا خصمه"، وهو من له ذمة وأمان وعهد لا يصح أن نعتدي عليه، ولا على أحد لم يحاربنا. يقول الله تعالى: (**لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) [سورة الممتحنة:٨].

هذا هو الخطاب الإسلامي الصحيح الذي يجب أن يرتبط به الخطاب الديني بصفة عامة البعد عن التطرف والإرهاب والعنف والتخويف.

ثالثًا: تنوع الخطاب الديني وسطحية الفهم الفكري:

يستقي الخطاب الديني الإسلامي مضامينه من القرآن الكريم والسنة **المؤكدة فنجد أن:**

خطاب آيات القرآن الكريم للإنسان يتواجد مع الإنسان حيثما وجد. وهو صالح للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة:٣] . فقد اشتمل الخطاب القرآني على عناصر الصلاحية لإيقاظ الإنسان ومن هنا جاء الخطاب القرآني بالكليات والمبادئ، والأسس التي تحتاج إليها البشرية في مسيرتها[٥٣].

وقد اتسعت مضامين الخطاب الديني، فقد جاء على ألسنة رجال. هؤلاء الرجال نماذج بشرية فاضلة مختارة بعثهم الله برسالته إلى الشعوب والأقوام من أجل إنقاذهم من جور الفساد في العقيدة، وما ينتج عنها من فساد في الواقع الاجتماعي والاقتصادي. ونظراً لأن فساد العقيدة كان عنصراً مشتركاً لدى الأقوام، فقد كان خطاب الأنبياء في هذه المسألة خطاباً واحداً[٥٤].

والتراث الإسلامي منذ انبثاقه في لحظاته التأسيسية الأولى لم يعالج ضمن إطار التحليل والفهم النقدي الذي من شأنه أن يزيح اللثام عن المنشأ التاريخي للوعي الإسلامي وتشكل بنيته والحال أن كل ما أنتج في فترة ما

يسمى (العصر التدشيني) قد انصب كله على النص الديني ففي هذه الفترة ظهرت علوم الفقه وعلوم الشريعة ودخلت الفلسفة إلى البيئة الإسلامية وحاول جل الفلاسفة الجمع بين العقل الديني والعقل الفلسفي عبر تأويل النص الديني(٥٥).

وهكذا نرى أن فساد العقيدة يؤدي إلى صياغة خطاب ديني فاسد يهدف إلى جلب الفائدة المؤقتة وتحقيق مصالح أصحاب هذا الخطاب أي كانت تلك المصالح المراد تحقيقها وقد يلجأون إلى العنف والتطرف والإرهاب كما شهدنا بعد ثورة الثلاثين من يوليو ٢٠١٣.

فالخطاب الديني لا يعرف الوقوف عند حد، ولا يقتصر قبوله للأفكار على زمن معين، ولو أننا أدركنا صيغ الخطاب القرآني الموجهة إلينا ليل نهار بأن نتدبر وأن نتفكر وأن نعتبر لقلنا: إن الوقوف بالفكر والإدراك والاستنباط عند زمن معين مخالف للنص القرآني ذاته، لأن خطاب الله ليس قاصراً على زمن ولا طائفة، ولا فرد، ولا أمة، بل هو خطاب عام أوحى به الله سبحانه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا يزال الخطاب يتلى للعمل به، لا للتبرك به مع ترك العمل.

وقد مرّ الخطاب الديني بمراحل متنوعة، وقد حاولت بعض الفئات إضفاء مظاهر التقديس على خطابها الديني، والرغبة في فرضه بالإكراه، وتحريم وتخطئة ما سواه من أفكار دينية في خطابات أخرى.

فعلى سبيل المثال نجد أنه في صدر الإسلام طُلب من الإمام مالك أن يكتب كتاباً في السنة فكتب كتابه "الموطأ"، وأراد ولي الأمر حمل الناس عليه كرهاً، كخطاب ديني ولكن الإمام مالك رفض ذلك.

كما أراد المأمون حمل الناس على رأي المعتزلة (القول بخلق القرآن) وبسبب هذا أوذي الإمام أحمد وكانت فتنته المشهورة.

وفي العصر الحاضر بدلاً من يكون الخطاب الديني خطاباً دينياً علميًا تنويرياً لحمل الناس على القرآن والسنة، يبرز فكر الخطابات الدينية التي تتعلق بالنص سواء أكان سلفياً أم شيعياً أم سنياً، أم اعتزالياً، كما شهدنا بعض الكتب الدينية التي تقدح في فكر الآخر وتسبّه وتفسّقه وتخرجه أحياناً من دين الإسلام(٥٦).

فالأزمة في الخطاب الديني مزدوجة بطبيعتها، فهي من جهة تعبر عن عجز واقع الخطاب عن مواكبة فكر التغييرات، وذلك لأن الفكر بطبيعته أكثر مرونة على التحرك في اتجاه المستقبل وتخطى الموجود بالفعل، وبذلك يكون مفهوم الأزمة في الخطاب الديني ينتج عن التصادم بين الفكر والواقع، ويبدو أنه مفهوم ملازم للتطور الحضاري للإنسان، بل ربما كان علاقة صحية تدل على يقظة الوعي الإنساني، ورهافة إحساس بالظروف المحيطة.

ولكن قد يكون للأزمة أيضاً معنى أضيق، فإذا كانت الأزمة ملازمة لكل المجتمعات البشرية، ولكل مراحل التطور التي موِّ بها العقل الإنساني، فإن هناك مفهوماً آخر أضيق نطاقاً، تكون فيه الأزمة تعبيراً عن مرض أو اختلال[٥٧].

ولذلك فإن الخطاب الديني يعبر بالضرورة عن فكر أي كان هذا الفكر، وهو بطبيعة الحال مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتوجهات هذا الفكر.

وقد أدى ارتباط الخطاب الديني بالفكر وبخاصة إذا كان هذا الفكر له قصدية مرتبطة بمصالح فئة من الفئات إلى تمييع هذا الخطاب وتسويفه.

لذلك افتقد الخطاب الديني المعاصر اللغة السوية للخطاب، وجنح إلى لغة صراعية تنافسية بين جماعات وتيارات الإسلام السياسي المعاصر، وغاب صوت العقل والحكمة والدعوة إلى الله والدين بالموعظة الحسنة[٥٨].

وقد غاب عن هؤلاء المتصارعين أن ابتعاث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منعطفاً تاريخياً في حياة الناس جميعاً، وتحولاً حضارياً متميزاً في نهج حياتهم وتعاملهم، تحول فيه الخطاب الديني من قومية الأديان، ومحورية مقاصدها إلى عالمية الإسلام وشمولية دعوته وتكامل مقاصده، ومن عزلة المجتمعات البشرية، وتضادها، وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعها. حيث سمع الناس لأول مرة في تاريخهم الإنساني فكرة المجتمع الإنساني الواحد[٥٩].

رابعًا: عالمية الخطاب الديني بين الوعي المجرد والوعي الممكن:

وعلى ضوء فكرة الجمع الإنساني الواحد، فإن ذلك يستدعي تربية تقوم على ثقافة التسامح والسلام من خلال الخطاب الديني عبر تأصيل قيمي لهذه

الثقافة في نفوس الصغار وقلوبهم، حيث أصبحت اليوم التربية على قيم التسامح والسلام ونبذ العنف أولوية إنسانية واجتماعية وحضارية، تنادي بها الأمم، وترفع شعارها في مختلف جوانب الحياة المعاصرة، لقد أدركت الأمم والدول بأن التربية على التسامح وقيمه وتأصيل معانيه سيوفر على الدولة الجهود الكبيرة في مواجهة العنف والتطرف والإرهاب، ولن تكون الدولة بصدد دفع الفواتير الغالية جداً لاستخدام أساليب العنف في مواجهة العنف عينه من أجل الأمن للمحافظة على الأمن العام والسلم الاجتماعية(٦٠).

ولما كان الإسلام ديناً عالمياً، فإن الخطاب الديني عليه أن يتسع لكل الناس. فقد أعلن الإسلام منذ اللحظة الأولى أنه جاء رحمة للعالمين، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [سورة الأنبياء:١٠٧] ، كما جاء الإسلام ليقيم موازين الحق والعدل ويرسي دعائم الأخلاق، وهذا أكده نبي الرحمة في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق" (رواه البخاري).

وللإسلام ثوابت يجب أن لا يغفلها الخطاب الديني، وهي لا تتغير باختلاف الزمان والمكان، ومن هذه الثوابت:

١- إن حقيقة الإسلام هي حقيقة كل دين، فالإسلام معناه إخلاص العبادة لله، والإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

٢- إن الله عز وجل، أوجد الناس جميعاً من أب واحد، وأم واحدة، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً..) [سورة النساء:١] .

٣- إن من مقاصد الأديان التعارف، وذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) **[سورة الحُجُرات:١٣] .**

٤- وهذا التعارف يستلزم الحوار وتبادل المنافع بين الناس وتبادل الأفكار، وقد أورد لنا القرآن الكريم ألوانا من الحوار بين الرسل وأقوامهم، وبين أهل الخير وأهل النار حتى بين الخالق – عز وجل – وبين ملائكته، وبين مخلوقاته بصفة عامة

٥- : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [سورة البقرة:٣٠] .

كما يجب أن لا يغفل الخطاب الديني الغرض القسري لاعتناق الدين، لأن الاختلاف بين الناس في عقائدهم، لا يمنع التعاون فيما بينهم، لأنه لا إكراه في الدين، يقول تعالى: (..لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.) **[سورة البقرة:٢٥٦] .**

خامسًا: الخطاب الديني والممارسة العملية الحية المرتبطة بالآخر:

كما أن الحضارة الإسلامية قد تواصلت في السابق مع كافة الحضارات، الأمر الذي جعل أعظم فلاسفة المسلمين وهو ابن رشد يجعل من الاطلاع على ثقافة الآخرين أحد الواجبات الدينية التي لا يجوز للمسلمين التخلي عنها، فالإسلام يعترف بالآخر ويتجلى ذلك في اعترافه بالأديان السماوية السابقة عليه، وهو خاتم الرسالات السماوية وجميعها خرجت من مشكاة واحدة، وهذا ما أكده القرآن الكريم (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) **[سورة فُصِّلَت:٤٣]**

وقوله تعالى: (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ [سورة البقرة:١٣٦]

.

كما أكد الخطاب القرآني على حرية العقيدة، في قوله تعالى: (.. وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [سورة الكهف:٢٩] ، وقوله تعالى: (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) [سورة يونس:٩٩] .

ونؤكد أن الإسلام قائم على حرية الاختيار حيث يقول الحق سبحانه (.. لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.) [سورة البقرة:٢٥٦] ، ويقول الحق سبحانه: (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) [سورة يونس:٩٩]، **ويقول سبحانه**(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)) [سورة هود١١٨ :١١٩] أما في ضوء ما تمر به منطقتنا من استهداف متعدد الجوانب في ضوء حروب الجيل الرابع التي تهدف إلى تمزيق المجتمعات وتحللها في جميع الجوانب قيما وأخلاقا بشتى السبل بالإرهاب المصنوع والإلحاد الموجه أو الممول وإثارة النعرات العرقية أو القبلية أو الطائفية(٦١).

ولم يقف الخطاب القرآني عند حد تقرير المبدأ، بل يمنع كائناً من كان أن يحاسب الكفار على كفرهم في الحياة الدنيا، بل جعل ذلك من صور الخالق Y وحده وذلك في قوله تعالى: (وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) [سورة الرعد:٤٠] . وقوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) [سورة الأنعام:١٠٧] .

وقد كان الخطاب الديني السمح والذي استمد قواعده من الأصول الحقيقية للقرآن الكريم دون إبدال أو نزعات شخصية، كان السبب في أن يدخل الإسلام الشرق في القرون الأولى بسماحته وروعته، إذ فتح المسلمون في ثمانين عاما، أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون، وكانت هذه الفتوحات الإسلامية تحريراً للشرق، الإنسان والأرض، من القهر الديني، الذي مارسه الرومان والفرس ضد شعوب الشرق امتداد عشرة قرون منت الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية.

ومهمة الخطاب الديني لابد أن يحمل في طياته بجانب السماحة التيسير، فإن مهمة الدعاة، يجب أن تكون التيسير، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ترجماناً لكل ما أتى به القرآن، فعل علينا أن نتبعه، وهو بشر مثلنا في البشرية، انفرد بالنبوة والرسالة، ونزول الوحي عليه، واصطفاه الله له، ولأمر ما اقتضت حكمة الله أن تشتمل حياة النبي صلى الله عليه وسلم على نماذج متعددة جداً من المشاكل والأزمات والحلول والنصائح، والإرشادات ومعاملات الصحابة ومعاملاته لأزواجه، ومعاملاته لغير المسلمين، كل هذا يسهل علينا الطاعة[٦٢].

المبحث الثالث
كيف يمكن بناء الخطاب الديني على ضوء متغيرات العصر والعولمة

أولاً : تجديد الخطاب الديني وإعادة بناء الوعي:

هذه السماحة وأيضاً التيسير نحن بحاجة إليهما، وبخاصة في الوضع الراهن، حيث تواجه أمتنا هيمنة ثقافية، تجلت في سيطرة قوى أتيح لها من التمكن العسكري والسياسي، ما يدفعها إلى إدعاء أن حضارتها هي الحضارة الأعلى، ومن ثم من حقهم التدخل في ثقافة الآخرين، وفرض نموذجها على الدول الأخرى.

وفي مقابل ما يحدث الآن في العالم من هيمنة دول المركزة على دول الأطراف، متهمة دول الأطراف بالعنف والتطرف، فإن ذلك يستدعي منا النظر بجدية إلى إعادة وصياغة خطاب ديني قائمة على التجديد غير المخل، وبخاصة أن مسألة التجديد في الخطاب الديني ليست قضية مسمية، وإنما هي قضية إسلامية متواصلة، تتجدد بتجدد الزمان والمكان. وقد قال النبي(صلى الله عليه وسلم) في ذلك: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (أخرجه أبو دواد في سننه).

والفكر الإسلامي يختلف عن الفكر الغربي بشقيه الشيوعي والفردي، فالفكر الشيوعي يقوم على التفسير المادي للتاريخ، والمذاهب الفردية تقف موقفا محايدا للدين، وكلاهما يجعل الإنسان أسيرا للدنيا، وهناك بعض المفاهيم متعلقة بالفكر الإسلامي ومنها مسألتان متعلقتان بالخطاب **الديني:**

المسألة الأولى: أن الإسلام ليس ديناً جديداً، وإنما هو كما وصف القرآن الكريم مهمة النبي صلى الله عليه وسلم، أنه رسول الله وخاتم الأنبياء، وجاء كتاب الإسلام مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، وكما أخبر

القرآن الكريم: (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥( ) [سورة البقرة:٢٨٥] .

المسألة الثانية: وهذا شيء مهم لوجدان الأمة الإسلامية، فالمسلم لا ينزع نفسه من الحياة، بل يمكنه أن يشارك ويعيش ولا يحرم نفسه كما أمره الله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) **[سورة الأعراف:٣٢]** .

والتشدد يتعلق بالإسلام على ألسنة بعض الدعاة في خطابهم الديني، فهو ينفر الناس، ويصور الشريعة قاصرة، لا تقوم بمصالح العباد، ويسد على الناس طرقاً كثيرة من طرق الحق والخير، ظناً من المتشددين منافاتها للشريعة(٦٣).

وقد دفع بعض المتشددين بالخطاب الديني لإثارة الفتن والقتال بين المسلمين وغير المسلمين استناداً إلى تفسيرات مغلوطة لبعض آيات القرآن الكريم متحصنين بآيات الفتاوى التي تم تأويلها حسب رؤيتهم القاصرة وعلى سبيل المثال: قوله تعالى (.... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ..) [سورة التوبة:٣٦] .

وقوله تعالى: (.. فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...) [سورة التوبة:٥]، وقوله تعالى في شأن الكافرين: (.. وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ.) [سورة البقرة:١٩١]

وقوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" أخرجه البخاري.

والمراد بالناس في الحديث، والكفار والمشركين في الآيات القرآنية كفار ومشركو العرب الذين حاربوا الإسلام ودعوته الإسلامية، والنبي والمسلمين

مدة عصر الوحي والتشريع مع النبي صلى الله عليه وسلم، والأنبياء والمرسلين، ومنها المدة التي حاربوا الدعوا فيها وأخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم لمدة ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة الذي نزل فيها الإسلام والوحي على النبي صلى الله عليه وسلم(٦٤).

ثانياً: تعدد الخطابات الدينية لدى قضاءات الفكر الإسلامي:

ويدفعنا ذلك إلى ضرورة إلقاء نظرة على قضاء الفكر الإسلامي في واقعنا الحاضر حيث حدد الدكتور محمد عمارة ذلك من خلال **التقسيمات الآتية(٦٥):**

أولاً: تيار الجمود والتقليد لتراثنا الفكري، وعلى الأخص منه تراث عصر التراجع الحضاري لأمتنا وحضارات ذلك التيار الذي ينظر فقط إلى الخلف، ويقف عند ظواهر النصوص، مغفلاً المقاصد التي تغيّاها الشارع من وراء هذه النصوص.

ثانياً: تيار التغريب والحداثة: ذلك الذي انطلق من المرجعية الفلسفية للحضارة الغربية، معتمداً مناهج النظر "الوضعية – العلمانية" – وأحياناً المادية التي تعاملت بها تلك الحضارة مع الدين وحقائقه وعوالمه، وعلومه ومعارفه، فنظرت إلى الدين ومواريثه باعتبارها فكراً غير علمي عبّر عن مرحلة من مراحل تطور "العقل الإنساني".

ثالثاً: تيار الإحياء والتحديد: الإحياء لأصول الإسلام وثوباته، بالعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية لهذا الدين الحنيف، والنظر فيه بعقل معاصر، يفقه أحكامها، كما يفقه الواقع الذي يعيش فيه، عاقداً القرآن بين "فقه الواقع" و"فقه الأحكام" ليصل إلى التجديد في الفروع، أي الفقه الذي هو علم الفروع، مبدعاً الأحكام الفقهية الجديدة التي تستجيب للمصالح الشرعية المعتبرة، التي طرحتها وتطرحها مستجدات الواقع الجديد المعاش.

وقد أضاف الدكتور عمارة لتلك التيارات بعض التيارات الأخرى في موضع آخر ومنها[٦٦]:

١ – **التيار الباطني**: يدعى التصوف وهو أقرب إلى "الفتوحية – الباطنية" التي اعتمدت على الحدس دون العقل، والنقل والتجارب الحية، لذلك تنكر هذا التيار الباطن للعقل والعقلانية، كما اعتمد في التعامل مع النصوص الشرعية على التأويل العبثي الذي لا ينضبط بضوابط اللغة، وثوابت الاعتقاد، والمحكم من النصوص.

٢ – **تيار الوسطية الإسلامية**: الذي يقيم عقلانية على كتابي "الوحي" و"الوجود" على نور الشرع ونور العقل، لتكون عقلانية هذه عقلانية مؤمنة متوازنة، العقل فيها هو الأساس، والدين فيها هو البناء وعلى هذا الأساس.

وعلى ضوء ما سبق فإننا نجد في خطابنا الديني، من يأخذ من الفقه حرفيته، فيقف عند اجتهادات الأولين، واستنطاق أحكام الشرع، وتوليد تفريعاته دون تفهم مقاصده، وحصر جهودهم في الجمود على متونه، دون الرجوع إلى النصوص الكلية للشرع والتزود بملكات الفهم السديد، وتحقيق مصالحه العامة، وتلمس روحه ومضمونه، والبحث عن حكمته ومغزاه[٦٧].

ثالثاً: الخطاب الديني ومحاور ارتكازه المستقبلي:

ونحن نرى في كثير من الخطابات الدينية السائدة، خطابات تعادي نتاج العقل المفكر ونرى من بين المسلمين، من يعادي مدارس الاجتهاد في الفقه الإسلامي لذلك علينا في خطابنا الديني وقبل كل شيء أن نؤسس لحوار جديد ومختلف مع أنفسنا، هذا الحوار كما يراها محمد جابر الأنصاري يقوم أسس هي[٦٨]:

<u>أولاً: تربية العربي المسلم على تقبل</u> العربي المسلم الآخر، وكذلك مواطنة الآخر غير العربي أو غير المسلم، إن تقبل الغير من المواطنين في الوطن، تعايشاً وتحاوراً وتسامحاً هو الشرط الأول لأي مشروع حضاري أو سياسي، ومن يلغ أو يضطهد مواطنه

"الآخر" فكيف يمكنه أن يحاور ويعايش الآخر المنتمي إلى قوميات وديانات وحضارات أخرى؟

ثانياً: أن تضع السياسات التربوية في المجتمعات العربية في مقدمة أهدافها تقديم مقررات في الثقافة العامة تشرح مختلف عناصر التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية، بصورة موضوعية رضية ومسئولة إلى الأجيال الجديدة.

ثالثاً: التنوير الثقافي العام بشأن المعطيات الحضارية الإنسانية.

المبحث الرابع
نتائج الدراسة وتوصياتها

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة من خلال العرض السابق إلى مجموعة من النتائج التي ترى أنه من شأنها أن تؤدي إلى خطاب ديني بسيط دون تعقيد في الفكر وخطاب ديني يوحد المسلم داخل مجتمعه مع غيره من المسلمين وغير المسلمين بعيداً عن التعصب والتمييز ويؤدي إلى الفهم الصحيح لمقاصد الدين والتصدي للفكر المنحرف، **وهذه النتائج هي:**

١- الاهتمام بالقضايا التي تمس حياة المسلمين والتي تثار جدل حولها فيجب على علماء الدين بيان الفهم الصحيح وهذا الفهم من مصادر التشريع الإسلامي القرآني والسنة النبوية.

٢- بيان سماحة الدين الإسلامي في خطاب وسطي يوضح كيفية التعامل مع المسلمين فيما بينهم وفيما بين غير المسلمين وتفنيد الأقاويل التي توضح انتشاره بالقوة وهذا دور علماء الدين.

٣- الاهتمام بتثقيف آلامه والدعاة والعمل على رعايتهم ثقافياً وفكرياً وطرح القضايا التي تثار وتمثل جدل بين أفراد المجتمع وأن يكون لهم الذراع الطولى في تعميق مبدأ التعاون والبعد عن العنف والاعتداء على الغير وقتل النفس.

٤- عدم تناول موضوعات جدلية لا فائدة من تناولها أو قضايا تتسم بالغلو (شاذة) وعدم طرحها على الجمهور حتى لا يتناولها بعض الأفراد.

٥- لابد أن يكون هناك إعمال للعقل وفهم صحيح لمقاصد الدين والتصدي للأفكار المنحرفة والمتطرفة.

٦- أن يكون الخطاب الديني متسامح وبه الرغبة لقبول الغير وعدم نشر الكراهية بين عناصر المجتمع والتمييز بناءاً على الدين أو اللون وأن يكون الخطاب متمثل في الآية الكريمة "لكم دينكم ولي دين" صدق الله العظيم.

٧- أن يكون الخطاب الديني وسطي وألا يكون خطاب جامد وألا يؤدي ذلك إلى تغيير ثوابت الدين الإسلامي وأن يتماشى مع التغيرات التي تحدث في المجتمعات بما لا يضر الدين الإسلامي المختلفة التي صبت في كيان الحضارة العربية الإسلامية سواء من حضارات الشرق الأدنى القديم من بابلية وسومرية ومصرية قديمة..إلخ أو من الحضارات الفارسية واليونانية والهندية والصينية، التي اقتبس منها العرب والمسلمون باختيارهم ومن موقع القوة والثقة بالنفس.

التوصيات:

وعلى ضوء ما سبق فإن خطابنا الديني يجب أن يرتكز على عدة محاور نستطيع أن نطرح أهمها وهي:

١- تراجع الدعوات المغلوطة والتفسيرات المنحرفة، والتأثير السلبي الذي يمارسه بعض الدعاة، ولا يعرفون ما يدور حولهم في العالم.

٢- ضرورة وجود الفهم الصحيح لكثير من جوانب الإسلام عقيدة وشريعة وتصوراً للكون والطبيعة، فلم تعد المسألة مسألة القدرة الدعوية أو الخطابية، وإنما لابد من تصحيح فهم الدعاة لأمور العقيدة والشريعة، وهذا يكتسب بالتعلم والبحث، ومتابعة ما يحدث في العالم من تحولات علمية وتقنية متسارعة الخطى، مما أوجب علينا ضرورة النظر فحصا وتدقيقا والمشاركة الفعالة في الأخذ بالعلوم المفيدة.

٣- عدم الغفلة عن أثر تغير الزمان والمكان، وعدم التشديد على الناس، لأننا في عصر يحتاج إلى التخفيف والتيسير، وأن يكون إدخال الناس في التدين من باب الترغيب دون الترهيب.

٤- ضرورة ابتعاد الدعاة عن تحقير الإنسان لنفسه، وعدم ترهيبه، حتى لا يعيش مخلوع القلب، لأنه بذلك لا يستطيع أن يصنع حضارة في عالم صار الكون فيه قرية صغيرة.

٥- التزام الخطاب الديني بالعقلانية والبعد عن إشاعة الخرافات والبعد عن التقليد والجمود ونبذ التعصب، واستشراق المستقبل وإبراز القضايا المتجددة والتعبير عنها من صحيح الدين.

المراجع

مصادر من شبكة الانترنت

https://archive.islamonline.net/?p=24275
https://www.bbc.com/arabic/middleeast-46412051
https://www.elwatannews.com/news/details/606136
https://taadudiya.com/%d8%a3%d8%b2%d9%85%d8%a9-
http://www.acrseg.org/36538

١- جابر عصفور: نقد ثقافة التخلف، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠، ص٣٧٧.
٢- محمود حمدي زقزوق: تجديد الخطاب الطيني، مجلة منبر الإسلام، مارس ٢٠١٤، ص ص ٥ – ٦.
٣- رواه أبو داود في سننه في محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق.
٤- أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ص ٩ – ١٠.
٥- نبيل عبد الفتاح: الثورة الدينية، ضرورة تجديد بنيات العقل والفكر، البوابة نيوز، ٣١/مايو/٢٠١٥.
٦- جلال أمين: خواطر حول الدعوة لتجديد الخطاب الديني، البوابة نيوز، الاثنين ١١/مايو/٢٠١٥م.
٧- شريف درويش اللبان: الثورة الدينية الإعلام وتجديد الخطاب الديني، بوابة نيوز، ١٤/يناير/٢٠١٥.
٨- جابر عصفور: نقد ثقافة التخلف، مرجع سابق، ص ٣٧٩.
٩- أمال كمال طه: تجديد الخطاب الديني في خطاب الصحافة العربية بالتطبيق على صحيفتي "الأهرام المصرية والحياة اللندنية خلال عامي ٢٠١٣، ٢٠١٤"، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة ٢٠١٥، طباعة بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠١٥.

١٠- أبكر عبد البنات آدم: تجديد الخطاب الديني بين الاعتصام بالأصول والتحريف، دراسة مقارنة، كلية الآداب، قسم مقارنة الأديان، جامعة بحري، السودان، بحث منشور في العدد الرابع، مجلة جيل الدراسات المقارنة، الصادرة أبريل ٢٠١٧، ص٢٣.
١١- إيهاب خيري: تجديد الخطاب الديني في القنوات الفضائية المصرية وعلاقته بالوعي الديني لدى المراهقين "دراسة تحليلية وميدانية"، رسالة دكتوراه، قسم الإعلام، كلية الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ٢٠١٨.
١٢- أحمد علي سليمان، مقترحات لتجديد آليات الخطاب الديني باستخدام التكنولوجيا، بحث منشور في مجلة أخبار الخليج، العدد ٤٥٩١ بتاريخ ٥ مارس ٢٠١٨.
١٣- أحمد خيري: الخطاب الديني عبر القنوات الفضائية المصرية وانعكاسه على فرص التقدم الحضاري للمجتمع المصري، دراسة منشورة في اليوم السابع بتاريخ الأحد ٢٥ يناير ٢٠١٥.
١٤- يسري فهمي علي. دور الصحف الإسلامية في تنمية الوعي الديني لدى الشباب الجامعي، دراسة تحليلية وميدانية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية الإعلام، قسم الصحافة والنشر، ٢٠١٥.
١٥- باكينام حسن غراب. خطاب صحافة تيارات الإسلام السياسي في مصر إزاء أزمة الديمقراطية، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني إعلام الأزمات وأزمة الإعلام، كلية الإعلام جامعة الأهرام الكندية من ١٩ – ٢١ مارس ٢٠١٣.
١٦- حنان محمد عبد المجيد. الفوضى المجتمعية وانعكاساتها على فوضى الخطاب والإفتاء بين القنوات الفضائية والمواقع الإليكترونية، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني بعنوان إعلام الأزمات وأزمة الإعلام، كلية الإعلام، جامعة الأهرام الكندية، في الفترة من ١٩ – ٢١ مارس ٢٠١٣.
١٧- عبد الحكم أبو حطب. الخطاب الديني في الصحف الإسلامية في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، بحث منشور في مجلة البحوث الإعلامية، جامعة الأزهر، العدد الثامن والثلاثون، أكتوبر ٢٠١٢.

١٨- علـي حمـودة جمعـة سـليمان. أثـر شـبكة المعلومـات الدوليـة فـي الـوعي الديني للشباب الجامعي في مصر، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم الصحافة والنشر، ٢٠١١.
١٩- حسام محمد إلهامي. الخطاب الإعلامي لمدونات أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، بحث منشور بمجلة البحوث الإعلامية، جامعة الأزهر، العدد ٣٠، ٢٠١٠.
٢٠- نجلاء محمود المصيلحي. الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، ٢٠٠٩.
٢١- صالح السيد العراقي. أساليب تطوير الخطاب الديني في القنوات الفضائية العربية، مؤتمر كلية الإعلام السنوي الثاني عشر، جزء ثان، جامعة القاهرة، المنعقد في الفترة من ٢ – ٤ مايو ٢٠٠٦.
٢٢- حامد عمار: النظرية النقدية والبحث التربوي، القاهرة، مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، العدد ٢٧ يونيو ١٩٩٣، ص ٣٠٨.
٢٣- عبد الفتاح تركي: المنهج النقدي والتربية، ورقة بحثية، مقدمة في الندوة العلمية الخامسة بعنوان "المنهج النقدي في البحوث التربوية" ٢٠٠٢/٣/٢٥، جامعة طنطا، كلية التربية، قسم أصول التربية، فرع كفر الشيخ، ٢٠٠٢.
٢٤- عصام الدين هلال: تربية السلبي وتجاوز المجتمع الأبوي، قراءة ديالكتية في فكر هشام شرابي، الندوة العلمية الخامسة، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة كفر الشيخ، ٢٠٠٢، ص ص ٣٠، ٣١.
٢٥- محمد الشيخ وياسر الطائري: مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات من الفكر الألماني المعاصر، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦، ص١١.
٢٦- نبيل عبد الفتاح، مرجع سابق.

٢٧- مصطفى النشار: القرآن الكريم وتحديث الخطاب الديني، مجلة العربي، العدد ٦٧٥، فبراير ٢٠١٥، وزارة الإعلام، الكويت.
٢٨- أحمد الطيب: التراث والتجديد، كتاب مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٤.
٢٩- نفس المرجع السابق.
٣٠- محمود حمدي زقزوق: الفكر الديني وقضايا الأمة الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٣١- نفس المرجع السابق.
٣٢- بكر زكي عوض: التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٣٣- صوفي أبو طالب: الخطاب الديني والتوفيق بين العقل والنقل، ضمن كتاب تجديد الخطاب الديني، لماذا وكيف؟ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢.
٣٤- محمد جواد رضا: الإصلاح التربوي العربي، خارطة طريق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦.
٣٥- أحمد عبد الرحيم السايح: الخطاب الديني والواقع المعاصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٣٦- عبد الحميد أحمد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١.
٣٧- التنمية في إطار تجديد الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٦.
٣٨- السيد يسين: آفاق المعرفة في عصر العولمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١.
٣٩- أحمد كمال أبو المجد: الخطاب الديني، وصلته بالواقع المعاش، ضمن كتاب تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف؟، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢.

٤٠- السيد يسين: الخطاب الديني وتكوين العقلية النافذة، ضمن كتاب تجديد الخطاب الديني، لماذا وكيف؟ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢.
٤١- إبراهيم عبد الله: إشكالية المصطلح النقدي (الخطاب والنص) آفاق عربية السنة الثانية بغداد، ١٩٩٣.
٤٢- أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب م١، دار صاور، بيروت.
٤٣- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
٤٤- المعجم الوسيط. مرجع سابق.
٤٥- أحمد عبد الرحيم السايح، مرجع سابق.
٤٦- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
٤٧- سامي خشبة: مصطلحات فكرية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٤.
٤٨- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٠.
٤٩- طه عبد الرحمن، مرجع سابق.
٥٠- أحمد عمر هاشم: التطرف الديني واثره في تنامي ظاهرة العنف وصدام الحضارات، مجلة الأزهر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، شوال ١٤٣٥هـ أغسطس ٢٠١٤م، القاهرة.
٥١- أحمد عمر هاشم، مرجع سابق.
٥٢- ربيع خليفة عبد الصادق: ظاهرة التطرف والغلو في الدين، مجلة الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، رمضان ١٤٣٥هـ، يوليو ٢٠١٤م، القاهرة.
٥٣- أحمد عبد الرحيم السايح، مرجع سابق.
٥٤- المرجع السابق.

٥٥- جريدة البوابه – محمد أركون، نقد العقل الديني ودعا لتنقيته من الشوائب ٢٠ فبراير، ٢٠١٨ السنة الثالثة، العدد ١١٧٢، ص٦.
٥٦- بكر زكي عوض: التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٥٧- فؤاد زكريا: خطاب إلى العقل العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.
٥٨- مصطفى النشار: القرآن الكريم وتحديث الخطاب الديني، مرجع سابق.
٥٩- أحمد عبد الرحيم السايح، مرجع سابق.
٦٠- وطفه علي أسعد: التربية على التسامح في مواجهة التطرف، مجلة شئون عربية، العدد ١٢٤، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٦١- محمد مختار جمعة: الإلحاد الممول، جريدة الأهرام، ١٩ يناير ٢٠١٨، السنة ١٤٢ العدد ٤٧٨٩١، ص٣٠.
٦٢- أحمد كمال أبو المجد: ضمن كتاب تجهد الخطاب الديني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨.
٦٣- أحمد كمال أبو المجد، المرجع السابق.
٦٤- نصر فريد واصل: المسلمون والسلم العالمي في شريعة الإسلام، مجلة الأزهر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥.
٦٥- محمد عمارة: مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١.
٦٦- محمد عمارة، المرجع السابق.
٦٧- محمد الشحات الجندي: الفقه الإسلامي وتحديات العصر، مجلة الأزهر، فبراير مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥.
٦٨- محمد جابر الأنصاري: هل نحن في "علاقة مشوهة" مع النفس، ضمن كتاب الإسلام والغرب، كتاب العربي رقم ٤٩، وزارة الإعلام، الكويت، ٢٠٠٢.





